موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٢٩)

سلامة الصدر

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

٢٩

سلامة الصدر

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

دار رواح

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٢١٤-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٩)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٢١٤-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٩)

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
سلامة الصدر لغةً	٧
سلامة الصدر اصطلاحًا	٧
علاقة الصدر بالنفس	٨
أسباب الحسد ودواعيه	٢٣
التفاوت في الشح وخبث النفس	٢٧
أثر الحسد في الحاسد	٢٨
آثار الحسد في المجتمع	٣٣
علاج داء الحسد	٣٩
الكبر والعجب بالنفس	٤٣
آثار الكبر في السلوك	٤٩
الاستهزاء والسخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب	٥١
الترفع عن مجالسة الفقراء والمساكين والضعفة من الناس	٥٣
فضل التواضع ابتغاء مرضاة الله	٥٧
الحقد	٦٠
آثار الحقد في السلوك	٦٢
الطريق إلى علاج الحقد	٧٥
الفهارس	٩٧

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

ليس أروح للمرء ولا أطرد لهمومه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم الصدر، مبرأ من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد، فيحيا ناصع الصفحة، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى وضغوط الحياة ووساوس النفس.

وليس هناك دواع معقولة تحمل الناس على أن يعيشوا أشتاتًا متناكرين متباغضين. بل إن الدواعي القائمة على المنطق الحق، والعاطفة السليمة تعطف البشر بعضهم على بعض، وتمهدّ لهم مجتمعًا متكاملاً تسوده المحبة ويمتد به الأمان على ظهر الأرض التي يعيش عليها المجتمع الإنساني إذا سلمت ضمائر الناس من نوازع الشر وغلبته فالمحبة – لا التباغض – أساس العلائق بين البشر. وقد تطرأ عوائق تمنع هذه المحبة الواجبة أن تسود في المجتمع وأن تُمدُّ الحياة بآثارها الصالحة إلا أن يتعهد المرء نفسه وتتعهد الجماعة أفرادها فتنظف نواياها وتغلب الحسن من الأمر على القبيح، والمقبول من الظن على السيئ منه.

وفي زحام البشر على موارد الرزق، وفي اختلافهم على فهم الحق وتحديد الخير قد يثور نزاع ويقع صدام، بيد أن هذه الأحداث لا ينبغي أن تنسي الحكمة المنشودة من خلق الناس وهي تعمير الأرض بجهودهم المتناسقة والمتناغمة وذلك بصلاح الأمر، وسلامة الصدر.

ومن دلائل الصَّغَار وخسة الطبيعة أن يرسب الغل في أعماق النفس فلا يخرج منها، بل يظل يموج في جوانبها كما يموج البركان المكتوم ويغلي شرر البغض فيحرق الصدور ويغرق النفوس.

وكثير من أولئك الذين يحتبس الغل في أفئدتهم يلتمسون متنفسًا لهم في وجوه من يقع منهم، فلا يستريحون إلا إذا آذوا وأفسدوا وأحزنوا الناس وحزنوا.

www.mtenback.com

إن سلامة الصدر توجب على الإنسان أن يحب الخير للناس إن عجز عن سوقه إليهم، ويتمناه لنفسه وللناس عامة.

وسلامة الصدر فضيلة تجعل المرء لا يربط بين حظه من الحياة ومشـــاعره تجـــاه الناس، ذلك أنه ربما أخفق حيث نجح غيره، أو ربما تخلف حيث سبق آخرون.

فمن الغباء أو من الوضاعة أن تهوي أو تنحط الأثرة بالمرء فتجعله يتمنى الخسار لكل إنسان لا لشيء، إلا لأنه هو لم يربح و لم يفلح.

ثم إن العاقل يجب أن يكون واسع الفكرة كريم العاطفة، فينظر إلى الأمور مـــن وجوه الصلاح فيها لا من منظور رغائبه وشهواته.

ولا شك أن سلامة الصدر نبع فياض من الخير لصاحب الصدر السليم والنفس الراضية المطمئنة.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

سلامة الصدر لغة:

جاء في لسان العرب: الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله، حتى إنهم ليقولون: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف وما أشبه ذلك. وصدر الأمر أوله وصدر كل شيءَ أوله، وكل ما واجهك صدر. ويقال: صَدَرَ عن الماء، وصَدَرَ عن البلاد إذا كان وردها ثم شخص منها[1].

وتصّدر: نصب صدره في الجلوس، وجلس في صدر المجلس. وتصدر الفرس: تقدم بصدره. وصدور الوادي أعاليه ومقادمه[2]، والصدر من الإنسان والحيوان ما دون العنق إلى فضاء الجوف. وعند الأطباء قفص عظمي غضروفي يتضمن الآلات الرئيسة للتنفس والدورة[3].

والسلامة: البراءة وتسلّم منه تبرأ، والسلامة: العافية ويقال: سلم من الأمر يُسلّم سلامًا: نجا، ومنه قيل للجنة دار السلام، لأنها دار السلامة من الآفات[4].

سلامة الصدر اصطلاحًا:

يقصد بسلامة الصدر السلامة المعنوية التي تجعله صحيحًا سليمًا من الأمراض المعنوية، مثل البغضاء والحسد والحقد والضغينة. والإسناد إلى الصدر جاء بحكم ظرفيته لا قصدًا له إذ المقصود القلوب التي في الصدور. ولا شك أن هناك تفريقًا واضحًا بين سلامة الصدر الحسية وسلامته المعنوية وهو تعبير مجازي عما في النفس البشرية من

---

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (ص د ر).

(2) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (١٤١٦هـ/١٩٨٦م)، ص٥٤٣.

(3) البستاني، بطرس: دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، ٧٠٤/١٠

(4) ابن منظور: لسان العرب، مادة (س ل م).

www.mtenback.com

أحاسيس وأهواء وأغراض يعبر عنها بالصدر، لأن العرب يظنونه مكنَّ هذه الأحاسيس وحافظها والحجاب عليها.

علاقة الصدر بالنفس:

يمثل الصدر دائرة من دوائر النفس، وداخل دائرة الصدر نجد دائرة أصغر هي دائرة القلب، وفي القلب يكون العقل الإرادي، وداخل دائرة القلب دائرة صغرى تمثل الفؤاد.

والصدر بالنسبة للقلب بمنزلة بياض العين فى العين، ومثل صحن الدار فى الدار، ومثل الحِلّ الذى يحوط بمكة، ومثل موضع الزيت في القنديل، ومثل القشر الأعلى من اللوز الذى يخرج اللوز منه إذا يبس الشجر. فهذا الصدر موضع دخول الوسواس والآفات، كما يعيب بياض العين آفة البثور وسائر علل الرمد.

وإنما سمي صدراً لأنه صدر القلب وأول مقامه، كصدر النهار وهو أوله، وكصحن الدار الذى هو أول موضع منها. وتدصر وساوس الحوائج، وفكر الاشتغال، منه إلى القلب إذا استقرت وطالت المدة[٥].

ويطلق القلب على معنيين: أحدهما: أمر حسّي ملموس جسماني مشاهد، وخير من يعرفه لنا ذوو الاختصاص في العلوم الطبية بعامة وعلم وظائف الأعضاء بخاصة، فقالوا: «هو عضو عضلي مجوّف موضوع في باطن التجويف الصدري الأيسر شكله مخروطي غير منتظم قاعدته إلى أعلى وقمته إلى أسفل، والذي لا يزيد في وظيفته عن مضخة تضخ الدم إلى أنحاء الجسم رغم الأهمية القصوى لهذه المضخة»[٦].

وقد عبر الإمام أبو حامد الغزالي عن هذين المعنيين بكل وضوع فقال: «لفظ القلب يطلق على معنيين:

---

[٥] الحكيم الترمذي، أبو عبدالله محمد بن علي: بيان الفروق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، تحقيق: نقولا هير، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص ٣٥.

[٦] محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ج٧، ص٩١٩.

www.mtenback.com

أحدهما: اللحم الصنوبريّ الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه.

ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء، ولا تتعلق به الأغراض الدينية، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت، ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب (أي كتاب إحياء علوم الدين) لم نعن به ذلك، فإنه قطعة لحم لا قدر له، وهو من عالم الملك والشهادة، إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين.

والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها بذا القلب الجسماني تعلّق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني.. وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة»[٧].

وقد ذكر العلماء أن القلب في القرآن على ثلاثة وجوه:

الأول بمعنى العقل: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[٨] أي عقل يتدبر به، فكنّى بالقلب عن العقل لأنه موضعه[٩].

---

[٧] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، (١٩٦٧)، ج٣، ص١٣٥٠.

[٨] سورة ق: ٣٧.

[٩] انظر: ابن كثير القرشي، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ٤/٢٢٩.

www.mtenback.com

الثاني: بمعنى الرأي والتدبير؛ ومنه قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[١٠] أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف، لا تستوي قلوبهم ولا يتعاونون بنيات مجتمعة، لأن الله ناصر حزبه وخاذل أعدائه[١١].

الثالث: بمعنى حقيقة القلب الذي في الصدر بعينه. يقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١٢].

ومما مرّ يتضح أن القلب هو أشرف ما في الإنسان وأرفعه فليس هو مضخة فقط تضخ الدم، إنما هو لطيفة رحمانية هي حقيقة الإنسان، لها بهذا القلب الحيّ تعلق وثيق. فالإنسان ليس مجرد لحم ودم إنما هو مخلوق خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه وجعل له هذا القلب الصنوبري سببًا من أسباب الحياة ومركز الفؤاد واللب. ومن جوامع الكلم قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب»[١٣].

فلا انفكاك بين الصدر والقلب، وكل منهما مرتبط بالآخر، وإن استقل الواحد منهما بصفات مغايرة عن الآخر، ففي تفريعهما تشابه، إذ إن انشراح الصدر يؤدي إلى خشوع القلب، وهو يمهد لنزول السكينة فيه، كما أن ضيق الصدر قد يؤدي بصاحبه إلى عمى القلب.

---

[١٠] سورة الحشر: ١٤.

[١١] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ٨٣/٤.

[١٢] سورة الحج: ٤٦.

[١٣] رواه البخاري في كتاب الإيمان.

www.mtenback.com

فإذا أطلق لفظ الصدر أو وصف الصدر بوصف، أو أسند إليه شيء فقد يكون المراد الصدر، فيدخل بذلك دائرة القلب ودائرة الفؤاد، وقد يكون المراد ما يختص بدائرة القلب، أو بدائرة الفؤاد، أو بما بقي تحت عنوان الصدر فقط من وراء دائرة القلب.

وتسند للصدر أفعال تصدر منه وصفات يكتسبها وأفعال تؤثر فيه وصفات نفسية نذكر منها:

الصدر يحصل فيه الانشراح، أو الحرج والضيق أو الحصر. فأمّا الانشراح فمن الشرح وهو الكشف. يقال: شرح فلان أمره أي أوضحه. وشرح مسألة بيّنها. وشرح الشيء يشرحه شرحًا وشرّحه: وضّحه وبيّنه وكشفه.. وشرح الله صدره لقبول الخير: وسّعه لقبول الحق فاتسع. وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[١٤]. وقول موسى عليه السلام حين كلفه الله أن يذهب إلى فرعون ويدعوه للإيمان: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[١٥].

وضده الحرج: والحرج في الأصل: الضيق، وقيل الحرج أضيق الضيق. ورجل حَرِجٌ ضيق الصدر.

وحَرَجَ صدره يحرج حرجًا: ضاق فلم ينشرح لخير فهو حرج. وفي التنزيل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[١٦]. والحرج من علل الصدر.

---

[١٤] سورة الانشراح: ١.

[١٥] سورة طه: ٢٥-٢٦.

[١٦] سورة الأنعام: ١٢٥.

www.mtenback.com

كما أن الحصر ضيق الصدر. وإذا ضاق صدر المرء عن أمر قيل حصر صدره يحصر حصرًا. قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٧]. وكل من ضاق صدره بأمر فقد حصر. ومنه قول لبيد يصف نخلة حصر صدر صارم ثمرها حين نظر إلى أعاليها[١٨]:

أَعْرَضْتُ وَانْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ جَرْدَاءَ تَحْصُرُ دُونَهَا صُرَّامُهَا

أي تضيق صدورهم بطول هذه النخلة.

وفي حديث زواج فاطمة رضوان الله عنها: فلما رأت عليًا جالسًا إلى جانب النبي ﷺ حصرت وبكت، أي استحت وانقطعت، كأن الأمر ضاق بها كما يضيق الحبس على المحبوس[١٩].

وفي الصدر تحصل مشاعر الرهبة. يقال: رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْبًا ورُهْبا، أي: ضاق . ورَهِب الشيء رَهْبًا ورَهَبًا: خافه.

قال تعالى عن المنافقين: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٢٠].

وفي الصدر تحصل مشاعر الكِبْر. ففي شأن الكافرين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢١]. أي مافي

---

[١٧] سورة الأعراف: ٢.

[١٨] ابن منظور، لسان العرب ١٩٢/٤.

[١٩] المرجع السابق نفسه.

[٢٠] سورة الحشر: ١٣.

[٢١] سورة غافر: ٥٦.

www.mtenback.com

صدورهم شيءٌ إلا الكبر الذي ملأ كلّ ساحاتها، وفي هذا تصوير بليغ لعظم رذيلة الكبر التي سيطرت على مشاعرهم، حتى كأن صدورهم ليس فيها شيء آخر غير الكبر.

وهذا الكبر الذي يشعرون به شعوراً شخصيًا، لم يكونوا ليبلغوا في الواقع تحقيق الوصف الذي يبرره، فماهم ببالغيه. ثم إن مما يستقر في الصدر وينسب إليه الغيظ الغل والبغضاء: فالغيظ: الغضب، وقيل الغيظ غضب كامن للعاجز، وقيل هو أشد من الغضب، وقيل سورته وأوله[٢٢]. والغلّ مقره الصدر، فإن زاد وصل إلى القلب. قال تعالى على لسان عباده المؤمنين: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢٣]. وفي شأن أهل الجنة قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[٢٤].

ومما يحمل في الصدر مشاعر الإكبار والإعظام. ففي شأن منكري البعث والحياة الأخرى بعد الموت قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[٢٥].

---

[٢٢] ابن منظور، لسان العرب: ٧/٤٥٠

[٢٣] سورة الحشر: آية ١٠.

[٢٤] سورة الأعراف: آية ٤٣.

[٢٥] سورة الإسراء: ٤٩-٥١

www.mtenback.com

ومن حاجات النفس ما يضمره المرء من مقاصد الحياة والأغراض التي تبعث على الرحلة والانتقال فلا تعبر عنها النفس كما عرض ذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[٢٦].

كما أن في الصدور منابع الأعمال الإرادية. لذلك فهي التي يوجه لها الامتحان الربّاني من وراء ظواهر السلوك، وما تبثه الصدور وتنجزه من إرادات ونيّات، وهو الذي يُحصّل للحساب والجزاء يوم الدين. قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٢٧].

والصدر مكان إخفاء الأسرار وكتمانها. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[٢٨]. وقال تعالى﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[٢٩]. وقال كعب بن زهير[٣٠]:

لاَ تُفْشِ سِرَّكَ إِلاّ عِنْدَ ذِي ثِقَةٍ ... أَوْ لاَ، فَأَفْضَلُ مَا اسْتَوْدَعْتَ أَسْرارَا

صَدْرًا رَحِيبًا وَقَلْبًا وَاسِعًا صَمِتًا ... لَمْ تَخْشَ مِنْهُ لِمَا اسْتَوْدَعْتَ إِظْهَارَا

وقال الإمام الشافعي[٣١]:

---

[٢٦] سورة غافر: ٧٩-٨٠.

[٢٧] سورة آل عمران: ١٥٤.

[٢٨] سورة آل عمران: ٢٩.

[٢٩] سورة آل عمران: ١١٨.

[٣٠] كعب بن زهير: ديوانه، حققه وشرحه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٣٨.

[٣١] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس: ديوان الإمام الشافعي، راجعه وشرحه: الشيخ خليل إبراهيم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، (١٩٩٢م)، ص٦٠.

www.mtenback.com

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ وَلَامَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهُوَ أَحْمَقُ

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

وهناك أمراض وآلام نفسيه تتركز مشاعرها في الصدر وتؤثر على سلامته، وهذا ما تظهر آثاره في سلوك الفرد وأخلاقه، وعلاقته بالآخرين. والمرض: أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان منه العلة[٣٢]. أو هو خروج الطبع عن حدّ الاعتدال، وهو نقيض الصحة. وأصل المرض النقصان[٣٣].

وعرف أيضًا بأنه صفة توجب وقوع الضرر في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصفة[٣٤]. وهو نوعان:

الأول: مرض جمساني وهو تغير النسيج أو عضو أو مجموع يوجب تشوشًا في عمله، أو يمنع إتمام وظيفة من الوظائف الحسية[٣٥].

الثاني: مرض نفساني معنوي يشمل عموم الأمراض الباطنة التي تتناول الصدر أو القلب كما في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[٣٦] يقول الزبيدي: «فالنفس في كلام الله وصفت بثلاثة أوصاف وهي نفس واحدة ولها صفات متغايرة. فالسكينة مزيد الإيمان وبها تحصل الطمأنينة، ويرتقي القلب إلى مقام الروح، وتتوجه النفس إلى مقام القلب وفي ذلك طمأنينتها، فهي إذن المطمئنة، وإذ نازعت وأزعجت وخرجت عن الطمأنينة والرضا فهي اللوامة، فإذا قامت في محلها لا يغشاها

---

[٣٢] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٩هـ) ج٥، ص٣١١.

[٣٣] ابن منظور: لسان العرب، مادة (م ر ض).

[٣٤] الفخر الرازي، الإمام محمد بن عمر: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، ط٣، (د.ت)، ٦٤/٢.

[٣٥] محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، ٧٣٧/٨.

[٣٦] سورة البقرة: ١٠.

www.mtenback.com

نور المعرفة والعلم؛ فهي الأمارة بالسوء. فالنفس والروح يتطاردان فتارة تملك القلب دواعي الروح، وتارة تملكه دواعي النفس[٣٧]. فمن أمراض القلب هذه (الحسد)، و(الكبر) و(عجب النفس)، و(الحقد)، و(النفاق)، ولكل واحد منها أنواعه ودرجاته، وآثاره على مرتكبه، حتى إن من حوله من الناس ينعتونه بتلك الصفات. فكثيراً مانسمع قولهم: فلان حسود حقود، أو قولهم: فلان منافق أو نحو ذلك. وهذه كلها علل وأمراض لاتقف مضارها عند المرء نفسه، بل يتجاوز ضررها صاحبها إلى مَنْ يتعامل معه، وقد يتأثر منها مجتمعه كله ؛ لذلك كان لابدَّ من تلمّس السبل لدرء أخطار مرض القلوب، فإنها أشد فتكًا بالحياة السوية من الأمراض التي تعرض للأجسام بغية أن يعيش الفرد حياة طيبة يسعى فيها لخير أمته ويكون فيها سعيداً سليمًا من أمراض الصدر المعنوية والسلوكية.

والسلامة: البراءة. يقال سلم من الأمر سلامة: نجا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[٣٨]. أي من اتبع هدى الله سلم من عذابه وسخطه.

فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى[٣٩].

ورجل سليم: أي سالم والجمع سلماء. ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٤٠].

---

[٣٧] الزبيدي، السيد محمد الحسيني: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر، بيروت، ٢٠٧/٧.

[٣٨] سورة طه: ٤٧.

[٣٩] ابن فارس مقاييس اللغة: ٩١/٣.

[٤٠] سورة الشعراء: ٨٩.

www.mtenback.com

وقيل في معنى السليم: إنه المعافى[٤١].

ونجد في معنى السلامة المعنوية للقلب أقوالاً كثيرة منها: إنها سلامة القلب من الشك في التوحيد والبعث بعد الموت[٤٢].

وقيل: صاحب القلب السليم هو الذي لم يلعن شيئًا قط[٤٣].

كما قيل إنه القلب الخالص، أو هو الخالي من البدعة المطمئن إلى السنة[٤٤]. وأيضاً قيل: إنه قلب المؤمن: لأن قلب المنافق مريض لأن الله قال عنهم: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[٤٥].

ويعنى هذا البحث بالسلامة المعنوية من الآفات الباطنة لورود أحاديث كثيرة تحثنا على صلاح القلب والعناية به، لأنه دعاء الإيمان والتصديق والهداية والرأفة والرحمة والسكينة. وهو موضع التمييز والاختيار، كما قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٤٦]. كما أن الله ألزم الحجة على وسائل الإدراك وهي السمع والبصر والفؤاد. قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٤٧].

ومن المعلوم أن السمع والبصر لا يستفاد منهما إلا بما يؤديانه إلى الفؤاد والفؤاد باطن القلب ولبّه، فكأن السؤال عنهما في الحقيقة سؤال عن القلب.

---

[٤١] الأصمعي، عبد الملك بن قريب: الأضداد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص١١٤.

[٤٢] الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت، (١٩٨٨م)، ٧٨/١٩.

[٤٣] المرجع السابق ٢٣

[٤٤] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن، دارالكتب العلمية، بيروتن ط٥، (١٤١٧هـ/١٩٨٦م)، ١١/٧.

[٤٥] الطبري: جامع البيان ٦٩/٢٣، والآية ١٠ من سورة البقرة.

[٤٦] سورة البقرة: ٢٢٥.

[٤٧] سورة الإسراء: ٣٦.

www.mtenback.com

ويجدر بالبحث أن يقف قليلاً عند أبرز تلك الأمراض التي تعرض لسلامة القلوب، فنتعرف عليها بغية اجتنابها واتقاء خطرها والنجاة من أضرارها.

الحسد:

الحسد أشد الأمراض المعنوية فتكًا بصاحبه وأكثرها تدميرًا لعلاقته بمجتمعه ولتشخيصه ومعرفة ماهيته يحسن بنا أن نقف على معناه اللغوي، ومن ثم تتبع تأثيره على صاحبه وعلى مَنْ حوله من الناس، لمعرفة الآثار السيئة التي يتركها. فمن معناه اللغوي قولهم: حَسَدَه يَحْسِدُه حَسَدًا إذا تمنى أن تتحوّل إليه نعمته وفضيلته ويسلبها هو. قال الشاعر:

وَتَرَى اللَّبِيْبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ ... شَتْمَ الرِّجَالِ وعِرْضُهُ مَشْتُومُ

وأصل الحسد: القَشْرُ. قال ابن الأعرابي: الَحسْدَلُ: القُرَادُ ومنه أخذ الحسد، يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمتص دمه[٤٨]. وقال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله عز وجل مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله عز وجل علمًا فهو يعمل به ويعلمه الناس»[٤٩].

ومن هنا نعلم أن الحسد على وجهين أحدهما مذموم والأخر مأذون به. أما الحسد المأذون به فهو ماذكره الحديث الشريف وهو ما يسمى الغبطة أو المنافسة: وهو أن يرى الإنسان ما وهب الله غيره من نعمة حقيقية فيتمنى لنفسه من فضل الله مثلها، دون أن يريد في قلبه زوال النعمة عن صاحبها. وهذا النوع لا يكاد يسلم منه أحد، إذ هو من الدوافع الفطرية الطبيعية التي لا يملك الإنسان دفعها، والتي تعد من الحوافز التي تدفع الإنسان إلى طلب الكمال الذي يمكنه الوصول إليه، لذلك كان الحرج مرفوعًا عنه، فلا يؤاخذ الإنسان على أن يكون فيه شيء من ذلك.

---

[٤٨] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح س د).

[٤٩] رواه مسلم في كتاب الفضائل باب لاحسد إلا في اثنتين، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية، (د.ت)، ٢٠١/٢.

www.mtenback.com

ومن الحديث عرف أن للحسد المأذون به – في حدود هذه المنزلة – ضابطين يصونان عن الانحراف إلى مالا خير فيه، وعن الانسياق وراء التمنيات الشاغلة للفكر والقاتلة للعمر من غير فائدة ترجى ولا منفعة يمكن الوصول إليها.

الضابط الأول: ألا تكون النعمة من الخصائص التى اصطفى الله بها بعض خلقه بالتكوين الفطري، أو بالمنح الخاصة التي لا تأتي عن طريق السعي والكسب الإنساني. وذلك لأن شغل الفكر والنفس بتمنيات من هذا القبيل مضيعة للوقت، ومضلة للعمر، ومجلبة للحسرات، ومزلق من المزالق التى تهوي بالنفوس والقلوب إلى دركات الحسد الضار الذميم. وهذه التمنيات الضائعات تفسد على الإنسان حياته إذ يعيش مع نفسه فيما يسمى بأحلام اليقظة، فيتحول من إنسان كادح عامل صاحب جد إلى إنسان حالم خامل كسول، يرضي بأن يكون في أحلامه وأوهامه على صهوات النجوم، بينما هو في واقع حاله في الأوحال وتحت الرجوم.

فمن الناس من يتمنى مثلاً أن يصطفيه الله، وهذا لا يأتي عن طريق الاكتساب، إذ هو من الخصائص التي يختص الله بها بعض عباده. وحين يشتد التمني ويملأ ساحات الفكر والنفس لديه – وهو لا يملك تحقيق ما تمنى – يركب مركب الكذب، فيدعي الولاية والكرامات، وربما بالغ في هذا حتى يزعم للناس أن الولاية التي وصل إليها هي أعلى من مرتبة النبوة.

ومن الناس من يتمنى لنفسه كمالاً من الكمالات الفطرية التي لا يملك الإنسان اكتسابها، كالجمال والقوة والذكاء وفصاحة اللسان، ونحوها، فإذا أدركه اليأس من تحصيلها لجأ إلى التعويض، فيحاول أن يبرز ذاته بالاستكبار، أو بالافتخار على الناس بالمال والجاه، أو بالحسب والنسب، أو بالسحر والكهانة وما أشبههما.

وبذلك كله أو نحوه يقوده الحسد إلى الخروج عن سوية الحق، ويزجه في ضلالات باطلة، ويخرجه عن الطور الذي ينبغي له إلى ماليس له فيه حق، وقد يؤدي

www.mtenback.com

به إلى ادعاء النبوة، و ربما ادعاء الألوهية، وماذلك إلا لأنه حاول أن يفارق فطرتـــه، ووضع نفسه في غير موضعها، فزلت قدمه حتى بلغ مابلغ.

الضابط الثاني: أن تكون النعمة التي يستطاع كسبها بالسعي الإنساني مـــن النعم التي تنفع الإنسان في آخرته. أما مظاهر النعمة التي هي من زينة الحياة الدنيا، فهي مجالات لامتحان إرادة الإنسان في هذه الحياة، فإذا استخدمت في معصية كانت نقمـــة لا نعمة، وعندئذ لا يحسد عليها صاحبها مطلقًا، مهما كان شأنها عظيمًا في الدنيـــا. وهل يحسد أصحاب البلايا على بلاياهم وأصحاب المصائب على مصائبهم؟

وأمثلة ظواهر النعم التى لا يحسد عليها أصحابها كثيرة في حياة الناس، فـــذو المال الكثير الذي يستخدم ماله في شر نفسه وضرها، وفي إيذاء الناس والإضرار بهم، لا يحسد على ماله المقترن بحالته هذه. ولقد كان الفقر مع الاستقامة خيرًا لـــه وأســـعد. وكذلك ذات الجمال البارع غدت سلعة لكل فاسق وطامع، حتى صـــارت ممتهنـــة حقيرة، وبؤرة للأوجاع والأمراض المؤلمة الخطيرة، لا تحسد على جمالها المقترن بحالتهـــا هذه، ولقد كان القبح مع صيانتها وسلامتها خيرًا لها وأسعد. ومثله ذو الذكاء العظيـــم والعلم الكثير الذي يستخدمه في الشر والأذى والإضرار بنفسه وبالناس لا يحسد علـــى ذكائه وعلمه المقترنين بحالته هذه، وقد كان الجهل وضعف الذكاء مـــع الاســـتقامة والسلامة خيرًا له وأحمد. وذو السلطان الذي يظلم في سلطانه ولا يعـــدل، ويهلـــك الحرث والنسل وهو لا يعقل، لا يحسد على سلطانه المقترن بحالته هذه، ولقد كان الذلّ والضعف مع السلامة من الظلم والطغيان خيرًا له وأرشد.

ومن دون حسد الغبطة أو المنافسة تأتي دركات كلها مذمومة وقبيحة، وبعضها أشد قبحًا ونكرًا من بعض، وأخفها تمني مثل ما للمحسود دون تحقق شرطي حســـد الغبطة المأذون به، ثم يأتي من دونها ثلاث دركات:

www.mtenback.com

أولاً: أن يتمنى الحاسد زوال النعمة عن المنعم عليه أو تمنى الحصـــول عليهـــا، لتكون له من دون صاحبها الذي أنعم الله عليه بها. وتتولد هذه الدركة مـــن اقـــتران الحسد بالطمع، حتى يتمنى الحاسد انتقال النعمه إليه بدلاً من المحسود، ويتضمن هـــذا التمني القبيح الاعتراض على قسمة الله تعالى، وعلى حكمته فيما يعطى وفيما يمنع. وقد أحسن الشاعر في بيان هذا المعنى إذ قال:

أَلاَ قُلْ لِمَـــنْ بَـــاتَ لِـــي حَاسِـــدًا أَتَدْرِي عَلَـــىْ مَـــنْ أَسَـــأْتَ الأَدَبْ

أَسَـــأْتَ عَلَـــى اللهِ فِـــيْ حُكْمِـــهِ لأَنَّكَ لَمْ تَـــرْضَ لِـــيْ مَـــا وَهَـــبْ

وقد يتضمن أيضًا هذا التمني القبيح شعوراً خبيثًا نحو الآخرين بالكراهية والحقد، لأن الله زادهم من نعمه. وهذا الشعور يمثل انحرافًا خلقيًا أنانيًا معنًا في الانحطاط علـــى المستوى الإنساني الكريم، ولو كان لديه شعور بالمحبة تجاه الآخرين لم يحسدهم حســـدًا يتمنى فيه زوال النعمة عنهم، وانتقالها إليه ليستأثر بها دونهم.

ثانيًا: ويأتي من دون الدركة السابقة دركة أحطُّ وأخسّ وأشدّ قبحًـــا وخبثًـــا منها، وهي أن يتمنى الحاسد زوال النعمة عن المحسود ولو لم تنتقل إليـــه، فهـــو إذ لم يستطع نقل النعمة إلى نفسه يريد زوالها عن أخيه، حتى لا يُفضَّل عليه بها، أو حتى لا يناظره فيها إذا كان لديه مثلها. فقد يكون لدى الحسود مثل النعمـــة الـــتي يحســـد الآخرين عليها. ولكنه يريد زوالها عن الآخرين حتى ينفرد هو بهذه النعمة ويزهو بهـــا ويترفع، فلا مصلحة له من زوال النعمة عمّن يحسدهم إلا حب الانفراد بـــين النـــاس بامتلاك ما يتميز به عليهم، فهو حسد مقرون بالكبر، وقد تكون كراهيـــة الآخريـــن وحدها هي الدافع إلى ذلك.

وقد يقترن الحسد بالكبر الذي لا ترضى النفس معه إلاّ أن تنفرد من دون الناس بما يجعلها تتفاخر وتتباهى، فتعلو على الآخرين. وصاحب هـــذا الشـــعور لا يـــرى

www.mtenback.com

أصحاب النعمة أهلاً لها، وأنه وحده هو الأحق بها والأجدر، كما قد يقترن الحسد بالكراهية للآخرين والحقد عليهم، فينتج عنه تمني زوال النعمة عن الآخرين، ولو لم تكن للحاسد مصلحة بأن تنتقل النعمة إليه، فهو يشعر باللذة إن وجد من يكرههم أو يحقد عليهم يعانون الألم والحرمان، أو في النقص والخسران.

وقد تكون هذه الدركة ناتجة عن اقتران الحسد بالشّح المفرط، إذ تشحّ نفس الحسود بما أنعم الله على غيره من نعم، فيؤلمه أن يجود الله بها على أحد من الناس سواه، فإذا رأى شيئًا منها قد بلغ غيره كزّت نفسه، فكأنه هو الذي يعطيها من خزائنه، وهذه الحالة النفسية المعقدة التي تنتابه تجعله يتمنى زوال النعمة عمّن يحسده.

إنه حسد في كبر، أو حسد مع الكراهية أو حسد مع شح.

ثالثًا: وتأتي من دون الدركة الثانية دركة ثالثة أخس منها وأحقر وأخبث، وأكثر لؤمًا وشرًا، وهي دركة لا تقف عند حدّ تمني القلب، ولكنها تزيد عليه باتخاذ الوسائل والأساليب لإزالة النعمة عن صاحبها أو طمس مظاهرها بالدسائس والمكائد، والمجاهرة بالعداوة، والجحود والظلم والعدوان، والإصابة بالعين، وهكذا إلى وسائل الكيد الأخرى التي يكيد بها الحاسدون الظالمون الآثمون.

والعناصر التي تتكون منها هذه الدركة هي العناصر التي تتكون منها الدركة السابقة بإضافة عنصر الرغبة في العدوان إلى مستوى التنفيذ، وممارسة ذلك بالعمل الإراديّ الموجّه، وجماع هذه المرحلة أن الحسد يدفع صاحبه إلى الإضرار بالمحسود، فإن لم يستطع هو نفسه القيام بتنفيذ الضرر، سخّر بجاهه أو ماله ضعاف النفوس أو استأجرهم لإيقاع الضرر بالمحسودين، الأمر الذي يجعلهم يحسون دسائسه وعداوته، لكنهم لايستطيعون كشفها أو فضحها أمام الناس، لأن المكائد غالبًا ماتقع في الخفاء، ويتستر عليها أصحابها ومنفذوها، ولهم من وسائل التقية ما يحميهم عن الافتضاح، ولا يعلم أكثر أفعالهم إلا الله وحده. والمحرك وراء ذلك كله هو الحسد لاغير.

www.mtenback.com

أسباب الحسد ودواعيه:

للحسد أسباب كثيرة ودواع عديدة نذكر منها:

العداوة والبغضاء: وهذا أشد أسباب الحسد، فإنّ من آذاه شخص لسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد. والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى، فمهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة من جهة الله على بغضه وأنها لأجله. ومهما أصابته نعماء ساءه ذلك لأنها ضد مراده، وربما خطر بباله أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوّه الذي آذاه بل أنعم عليه. وهذا النوع لا يكون عامًا وإن كان أضرها، لأنه لايقع على كل الناس. إن عداوة الحاسد تختلف عن بقية العداوات، فكل عداوة قد يحل محلها الحب والوئام، وقد تتبدل الأحوال بطرفيها، فتنقلب النفوس إلى طهرها والصدور إلى سلامتها، وكم من متخاصمين أو متحاربين حلت بينهم الألفة، وعاد إلى نفوسهم الصفاء، وانجلت عنهم غمم الكراهية، فأصبحوا أحبة متآخين يفدّي بعضهم بعضًا، ويقدم نفسه للمكروه قبل صديقه، لكن عداوة الحاسد لاتفنى ولاتتغير، لأن كوامن الحسد لاتجتث من النفوس، مهما صلحت العلاقات، وتوشجت الروابط بين الأفراد، وما ذلك إلا لأن أسبابها متجذرة في طبيعة المرء، غالبة على نفسه، حتى ولو غالبها هو، فإنها تأبى أن تطيعه، في الإقلتع عن سجية أصبحت هي المحرك لسلوكه، وكأن نفسه قد مزجت بعصارة الحسد التي لاتنفك عنها أو تزول. قال الشاعر[٥٠]:

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلاّ عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ

---

[٥٠] ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم: عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٧٣م)، ١٠/٤

www.mtenback.com

والحاسد المبغض لايستطيع المجاهرة بحسده وبغضه، فهو يكتم غيظه ومشاعره عن الآخرين، بل يدّعي خلافها. وربما أظهر الوّد والإخلاص لمن يعاديهم ويحسدهم، فهو بذلك يدخل نفسه في زمرة المنافقين الذين يظهرون خلاف مايبطنون. إن الحاسد قد يتمنى أن يرى الموت ينزل بالمحسود ليرتاح هو، ويريح ضميره الذي يتميز غيظًا وحنقًا، بل يتصور المحسود شبحًا وغصّة تنشب في اللهاة وفي الحلق، ومع ذلك فقد يخاف من المحسود، ويجامله بالكلم الطيب، ويتزلف إليه ولسان حاله يقول: حبذا لو أطاعني الموت فأرسله إلى هذا.

إن مثل هذا الحاسد لا يحارب إلا بقوة الإيمان، وأن يوكل أمره إلى الله، فالله قادر على أن يحبط كل سوء يصدر عنه، وسينتقم للمحسود ظلمًا وعدوانًا. خطب الحجاج يومًا بقول سويد بن أبي كاهل[٥١]:

كَيْفَ تَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا ... جَلَّلَ الرَّأْسَ بَيَاضٌ وَصَلَعْ
رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا صَدْرَهُ ... قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطَعْ
وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ ... عَسِرًا مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعْ
مُزْبِدًا يَخْطُرُ مَالَمْ يَرَنِي ... فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْقَمَعْ
لَمْ يضرني غَيْرُ أَنْ يحْسُدَنِي ... فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ مَا يَزْقُو الضُّوَعْ[٥٢]
وَيُحَيِّينِي إِذَا لاَقَيْتُهُ ... وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعْ
قَدْ كَفَانِي اللهُ مَا فِي نَفْسِهِ ... وَمَتى مَا يَكْفِ شَيْئًا لَمْ يُضَعْ

وقد اكتفى الحجاج بهذه الأبيات، لأنها مؤدية للغرض الذي قصده.

---

[٥١] ابن قتيبة، عيون الأخبار، مج١، ج٤، ص١٠.

[٥٢] الضُّوَعُ: طائر ليلي.

www.mtenback.com

ومن دواعي الحسد ودوافعه الكبر والعجب بالنفس، وهو شعور مقرون بالاستعلاء على الأقران والنظراء. فالمستكبر يعزّ عليه أن يترفع عليه غيره، فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علمًا أو مالاً خاف أن يفضله، وهذا ما لا يحتمله أو يرضى به، إذ يُفقده سبب استعلائه على الناس، ويفقد جزءًا من غروره وكبريائه.

والمستكبر من طبعه أن يتكبر على أقرانه ويستصغرهم ويستخدمهم، ويرجو منهم الانقياد له، فإذا نال أحدهم نعمة خاف أن ينقطع ما يرجو منه من خضوع إذ يتوقع منه أن يتشوّف إلى مساواته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبرًا بعد أن كان صاغرًا مطيعًا.

وعندما يتزاحم جماعة على مقصود واحد، فإن كل واحد يحسد صاحبه على كل نعمة تكون عونًا له في الانفراد بالظفر. ومن هذا النوع التاجران والصانعان يحسد أحدهما الآخر، ويحب أن يزول عنه المبايع والمستأجر فيبايعه دون صاحبه ويستأجره. فيحبّ لو أن أجراءه صدُّوا عنه وتركوه. وأن من بايعه أو استعمله يدعه وينصرف إليه[٥٢].

ومن ذلك تحاسد الضّرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال، وذلك كما هو حال إخوة يوسف حين حسدوه في حبّ أبيه له دونهم وإيثاره إياه عليهم: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾[٥٤]، حتى قال بعضهم لبعض:

---

[٥٣] انظر: المحاسبي أبو عبد الله الحارث بن أسد، الرعاية لحقوق الله، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف، مصر، (١٩٨٤م)، ص٣٩٧.

[٥٤] سورة يوسف: ٨.

www.mtenback.com

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[٥٥]. قيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن أخاه؟ قال: لا أبا لك، أنسيت إخوة يوسف[٥٦]؟

ومن هذا الجنس تحاسد التلميذين عند معلم واحد على نيل المرتبة في قلبه، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به للمال والجاه، وتحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم، وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة، إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له[٥٧].

ثم إن من أسباب التحاسد حب الرئاسة والمنزلة. فقد يحسد الحاسد غيره على الرئاسة أن تكون له دونه، وكذلك المنزلة عند الناس. قال الغزالي: «وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظر في فن من الفنون، فإذا غلب عليه حبّ الثناء واستفزّه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته، أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما ينفرد هو به ويفرح بسبب تفرده، وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود، ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد»[٥٨].

---

[٥٥] سورة يوسف: ٩.

[٥٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٩/٤

[٥٧] الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢٤١/٣.

[٥٨] المرجع السابق نفسه.

www.mtenback.com

وفي عهد الرسول ﷺ كان قد وقع شيء في نفوس بعض أصحابه، وهذا من باب التنافس في سبل الخير قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٥٩]. والتنافس والغبطة أحوال تعرض للإنسان عندما يرى من أخيه أو فيه ما يتمنى مثله وليس في ذلك من بأس. وما حصل من فقراء الصحابة من شكوى إنما كان من باب العجز عن المنافسة في الخير، إذ رأى بعضهم أصحاب الأموال يفضلونهم بالصدقات، فقالوا: يارسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يُصلّون كما نُصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم ولانتصدق.

فقال ﷺ: «أوليس قد جعل الله لكم ماتصدقون؟! إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تحميدة صدقة وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة..»[٦٠].

ولم تبلغ غبطة هؤلاء أن يكرهوا لغيرهم الغنى والصدقات، لكنهم رجوا أن يكون لهم مثل مالأولئك، ليفعلوا فعلهم، ويساووهم في فعل الخيرات، وينافسوهم في القربات. فبين لهم الرسول عليه السلام أن الله قد منحهم مصدراً يمكن أن يصلوا عن طريقه إلى مايؤملون من الثواب والأجر، ألا وهو الدعاء. أما المال فذلك فضل الله يؤتيه فضله من يشاء.

الإتفاوت في الشح وخبث النفس:

وقد يكون في الحاسد شح بالفضائل، وبخل بالنعم، وليست إليه فيمنع منها، ولا بيده فيدفع عنها، ولكن إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما أنعم الله به عليه شقّ ذلك عليه، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم

---

[٥٩] سورة المصطفين: ٢٦.

[٦٠] رواه مسلم، صحيح مسلم ٨٢/٣، حديث رقم ١٠٠٦.

www.mtenback.com

وتنغص عيشهم فرح به، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث فى النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة. وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها، إذ ليس لصاحبه راحة ولا لرضاه غاية، فإن اقترن بشرٍ قدر عليه بوارًا وانتقامًا، وإن صادف عجزًا ومهانة كان كمدًا وسقامًا. وقد قيل: الحسود من الهَمِّ كساقي السّمّ فإن سرى سمّه زال عنه همّه[٦١].

وقد تجتمع بعض أسباب الحسد أو أكثرها أو جميعها فى شخص واحد، فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة، بل ينتهك حجاب المجاملة، وتظهر العداوة بالمكاشفة.

أثر الحسد في الحاسد:

الحسد من أمراض الصدور العظيمة التي تعود على صاحبها بالضرر. ومن الأضرار التى تلحق به حسرات الحاسد وسقام الجسد: فالحاسد يحمّل نفسه وقلبه أثقال آلام الحرمان، ويوقد فيها نيران الغيرة ويعيش مع نفسه وقلبه في بركان من التعاسة والشقاء، لأنه لا ينظر إلى كنوز الله الملأى وبحر عطائه العظيم، ولا يعلق قلبه بطلب ما عند الله من فضل، ولكن تضيق عينه وتضيق نفسه، فلا ينظر إلا إلى ما في أيدى الناس من نعم، فتدفعه أنانيته المقيتة إلى حب الاستئثار بكل نعمة، وتمنى كل النعم له وحده وكراهية ذوي النعم.

ولا سبيل إلى إرضاء هذا الحسد إلا بأن تزول النعمة عن المحسود، فما له إذن إلا أن يموت بغيظه وكمده، وحسبه عقابًا أن يشقي نفسه بآلام جسده ويجني لقلبه التعاسة والبلاء، وأن يفني عمره وفكره فى الأمانى الضائعات ويكوي قلبه بجمر الحسرات.

---

[٦١] المرجع السابق نفسه.

www.mtenback.com

قال معاوية رضي الله عنه: ليس في خصال الشرّ أعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود[٦٢]. وقال رجل لشريح القاضي إني لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم، ووقوفك على غامض الْحُكْم، فقال: ما نفعك الله بذلك ولا ضرّني.

والحاسد يستحق أن يرثى لحاله؛ لأنّ نار الحسد تأكل قلبه، فهو يقتّل في اليوم مرارًا. وقد أحسن عبد الله بن المعتز وصفه إذ شبه صبر المحسود الذي يقتل الحاسد بالنار التي تتلظى فتضطرم بالحطب، حتى إذ لم تجد ما يضرمها عادت على نفسها حتى تخبو فتموت. قال رحمه الله[٦٣]:

اصْبِرْ عَلَى حَسَدِ الْحَسُودِ ... فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ

فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا ... إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

وقال الأصمعي: رأيت أعرابيًا قد أتت عليه مائة وعشرون سنة فقلت له: ما أطول عمرك! فقال: تركت الحسد فبقيت[٦٤]

وقال زيد بن الحكم الثقفي[٦٥]:

تَمَلأْتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ وَلَمْ يَزَلْ ... بِكَ الْغَيْظُ حَتَّى كِدْتَ بِالْغَيْظِ تَنْشَوِي

وَمَا بَرِحَتْ نَفْسٌ حَسُودٌ حُشِيتَهَا ... تُذِيبُكَ حَتَّى قِيلَ: هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِي؟

وَقَالَ النُّطَاسِيُّونَ إِنَّكَ مُشْعِرٌ ... سُلَالاً أَلاَ بَلْ أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ جَوِي[٦٦]

---

[٦٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ٣٢٤.

[٦٣] ابن المعتز، عبد الله بن المتوكل: ديوان ابن المعتز، شرحه وقدمه له: ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، (١٩٦٩م)، ص٣٤٤.

[٦٤] ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١١/٤.

[٦٥] المرجع السابق نفسه.

[٦٦] الجوي: داء السل.

www.mtenback.com

ومن آثار الحسد على الحاسد انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة، لانحراف الناس عنه ونفورهم منه ومقتهم له، حتى لا يجد فيهم محبًا، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليًا، فيصير بالعداوة مأثورًا وبالمقت مزجورًا. قال أعرابي لامرأته[٦٧]:

وَإِمَّا هَلَكْتُ فَلاَ تَنْكِحِي ظَلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَّادَهَا

يَرَى مَجْدَهُ ثَلْبَ أَعْرَاضِهَا لَدَيْهِ وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

ومن أثر الحسد إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار فى مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله تعالى عدلاً، ولا لنعمه من الناس أهلاً. ولذلك قال النبي ﷺ: «الحسد يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النّار الحطبَ»[٦٨]. وقال الغزالي مخاطبًا الحاسد: «أما كونه ضررًا عليك فى الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى، وكرهت نعمه التي قسمها بين عباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته، وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان، وناهيك بها جناية على الدين»[٦٩].

أما المحسود فلا ضرر عليه من الحسد في دينه ودنياه، إذ إن النعمة لا تزول عنه بحسد الحاسد، بل ما قدره الله سبحانه من إقبال نعمه فلا بدّ أن يدوم إلى أجل معلوم بقدّرة الله ولا حيلة في دفعه، بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب.

وبحسب فضل الإنسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له، فإن كثر فضله كثر حساده، وإن قلّ قلّوا، لأن ظهور الفضل يثير الحسد، وفي هذه الإثارة يكمن التنبيه على فضل المحسود ونقص الحسود، لأن الحاسد قد يدفعه حسده وأنانيته

---

[٦٧] ابن قتيبة، عيون الأخبار: ٤/١١.

[٦٨] ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار سحنون، إستانبول، ط٢، (١٩٩٢م)، كتاب الزهد، باب الحسد، ج٢، ص١٤٠٨، حديث رقم ٤٢١٠.

[٦٩] الغزالي: إحياء علوم الدين، ٣/٢٤٤

www.mtenback.com

إلى ذكر ماحل من النعم أو الخيرات بغيره، فتراه يذكرها مستنكرًا نزولها بساحة غيره، موهمًا نفسه والآخرين بأن من نال خيرًا أو نعمة لايستحقها، وأنها نزلت بغير أهلها، ثم ينثني موهنًا المحسود ناشرًا ذكر السوء عنه، ممتنًا عليه، بما أنعم الله عليه فهو بذلك ينشر ذكر تلك الفضيلة، وفي الوقت نفسه تحترق أحشاؤه، وتتمزق فرائصه حنقًا وحسدًا، فَمثله مثل النار التي تشتعل فيما جاورها من الحطب، وعندئذ تظهر حقائق المواد المشتعلة إذ إن منها العطري الذي يفوح عبقه عند احتراقه، فيظهر فضله على بقية الأعواد المحترقة التي لاتبعث غير الدخان الخانق أو اللهب المستعر. أمّا ماكان أصله الحسن والطيب فيبعث الروائح التي تعطر الجو عند اشتعال النار وإحراقها له. قال أبو تمام الطائي[٧٠]:

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيْلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

لَوْلاَ اشتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عرف العُوْدِ[٧١]

لَوْلاَ التَّخَوُّفُ لِلْعَواقِبِ لَمْ يَزَلْ ... لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

وقيل لسفيان بن معاوية: ما أسرع حسد الناس إلى قومك! فقال[٧٢]:

إِنَّ العَرانِيْنَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً ... وَلاَ تَرَى لِلئَامِ النَّاسِ حُسَّادا

إن الحاسد ليجد في نفسه على من فضَّله الله عليه، ويتمنى لو أزال الله تلك النعمة عن المحسود حتى ولو لم ينل منها شيئًا، فمثله كمثل الضرَّة التي نظرت إلى ضرتها الحسناء، فأصبح داخلها مسرحًا لصراع البغض والحسد، وظاهرها إنكار لنعمة الخالق التي أنعم بها على ضرتها من الجمال والحسن. لكن البغضاء والحسد لايتركان

---

[٧٠] أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوانه، شرحه وعلق عليه: شاهين عقبة، مكتبة الطالب، بيروت ط١، (١٣٨٧هـ).

[٧١] العرف: الرائحة الطيبة.

[٧٢] ابن قتيبة، عيون الأخبار ٩/٤.

www.mtenback.com

مجالاً للاعتراف بالجمال، ويفسحان للكذب والظلم مجالاً بأنها قبيحة ودميمة. يقول الشاعر[٧٣]:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ ... فَالْقَوْمُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُوْمُ

كَضَرَائِرِ الْحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا ... حَسَدًا وَظُلْمًا إِنَّهُ لَدَمِيْمُ

يقول الغزالي[٧٤]: وأما أن المحسود ينتفع به (أي بحسده) في الدين والدنيا فواضح. أما منفعته في الدين فهو مظلوم من جهتك، لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه، فهذه هدايا تهديها إليه، أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامه مفلساً محروماً من النعمة كما حرمت في الدنيا من النعمة، فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل. نعم كان كله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه، فأضفت إليه نعمة إلى نعمة، وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة.

وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم، وكونهم معذبين مغمومين، ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد، وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم، وقد فعلت بنفسك ماهو مرادهم، ولذلك لايشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك، ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسداً. ولذلك قيل[٧٥]:

لاَ مَاتَ أَعْدَاؤُكَ بَلْ خُلِّدُوا ... حَتَّى يَرَوا فِيْكَ الَّذِي يُكْمِدُ

لاَ زِلْتَ مَحْسُوْدًا عَلَى نِعْمَةٍ ... فَإِنَّمَا الكَامِلُ مَنْ يُحْسَدُ

---

(٧٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٩/٤.

(٧٤) الغزالي: إحياء علوم الدين: ٢٤٤/٣.

(٧٥) المصدر السابق: ٢٤٦/٣.

www.mtenback.com

آثار الحسد في المجتمع:

يدفع الحسد الحاسدين إلى ارتكاب نقيصتهم فينجم عنها في المجتمع شرور كبرى، منها فشوّ الغيبة والنميمة والبغي، والعدوان والظلم، والاتهام بالباطل وافتراء الكذب، والجور في الحكم والسرقة والغش والقتل، وهكذا كل جريمة قبيحة منكرة. ويتفاوت الحاسدون في مدى ارتكابهم للجرائم، ويكون لكل منهم نسبة تساير ضعف إيمانه.

وما من ذي نعمة إلا كان له حاسدون، وكان له من حاسديه ظالمون آثمون دبروا له المكائد وافتروا عليه الفرى، ومكروا به أيما مكر. قال الشاعر[٧٦]:

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِي غَيْرُ لاَئِمِهِمْ ... قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمُ ... وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ

فذو نعمة في عقله وعلمه له حاسدون واشون، يفسدون ما بينه وبين ذي سلطان، بالكذب والبهتان، كي يناله من حسدهم بلاء وهم، أو حزن وغم.

وذو نعمة في سلطانه ومجده، كان له حاسدون واشون يفسدون ما بينه وبين أقرانه، أو بينه وبين رعيته بالكذب والبهتان، والظلم والعدوان، حتى يناله من حسدهم هم وغم وحزن وبلاء.

وكم من زوجين متحابين يظللهما سرادق السعادة والهناء، كان لهما حاسدون واشون، أفسدوا ما بينهما بالكذب والبهتان والظلم والعدوان فنالهما من حسدهم بلاء وهمّ أو حزن وغم، وربما منيا بمّر الفراق وشر الطلاق.

وكم من أصحاب متآخين متصافين متحابين يجتمعون على الحب ويفترقون عليه، دخل بينهم حاسدون واشون أفسدوا ما بينهم بالغيبة والنميمة كذبًا وبهتانًا وظلمًا وعدوانًا، فنالهم من حسدهم همٌّ وبلاء وعداوة وبغضاء، ثم تفرقوا تفرق

---

[٧٦] الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣/٢٤٦.

www.mtenback.com

الأعداء. وكم من والد أفسده مكر الحاسدين على ولده، فبات غاضبًا عليهم بعد أن كان راضيًا عنهم.

وكم من محصنة عفيفة رماها الحاسدون والحاسدات، وأشاعوا عنها من الفواحش ما لم تفعل، فأساؤوا سمعتها ودنسوا شرفها كذبًا وبهتانًا، وهي مما افتروا أطهر من ماء السماء، وكم من محصن عفيف فعل به الحاسدون مثل ذلك.

وكم من أمين خوّنه الحاسدون والحاسدات فأردوه بالخيانة، وكم من صادق رماه الحاسدون بالكذب، وكم من عالم طعنه الحاسدون بالجهل، وكم من حكيم ذي أناة غمزه الحاسدون بالحماقة، وكم من رزين لمزه الحاسدون بالطيش، وكم من عادل أشاع عنه الحاسدون الجور والظلم. وكم من صاحب خلق كريم وصفه الحاسدون بالنفاق، وكم من داعٍ إلى الحق صادق مخلص وصفه الحاسدون بالرياء، وكم من جميل قبحه الحاسدون وشوهوه، وكم من قوي أضعفه الحاسدون وأوهنوه، وكم من ثري كاده الحاسدون ومكروا به حتى نزل به الفقر، وكم من ذي جاه وسلطان مازال به الحاسدون حتى أذلوه، وكم من ذي شجاعة وبأس وبطولة مكر به الحاسدون حتى قتلوه.

وهكذا يقطع الحسد وشائج المودات وصلات القرابات، ويفسد الصداقات، ويولد في الناس العداوات، ويهلك أفراد المجتمع ويباعد بين الجماعات.

إن مثل الحسد مثل مقراض خبيث، يمشي بين الناس فيقطع الروابط التي تصل بعضهم ببعض على أساس من الأخوة، ومثل معول خبيث، يهدم في بنيان الجماعات، ويقلع أسس المودات والصداقات، ويضع مكانها بذور العداوة والبغضاء والحقد.

وللحسد شواهد وأمثلة كثيرة في أحداث التاريخ. وما زال التاريخ يسجل منها أحداثًا وأمثلة كثيرة، في كل حقبة، وفي كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية.

www.mtenback.com

قيل: إن الحسد أول ذنب عُصي به الله في السماء حين حسد إبليس – وهو من الجن – آدم عليه السلام. وقد بلغ الحسد بإبليس مبلغ التورط في الكفر والتمرد على أمر الله، إذ اقترن في نفسه برذيلة خلقية أخرى، هي الكبر والعجب بالنفس، فكان مصيره اللعن والطرد عن رحمة الله، وكان مصيره أيضًا الانطلاق في الإفساد والكيد لآدم وذريته من بعده، حتى يكونوا من الغاوين و أصحاب الجحيم، ويكونوا شركاءه في العذاب الأليم.

ومع إبليس جنود كثيرون من شياطين الجن والإنس، أكل الحسد قلوبهم فانطلقوا يغوون الناس، ويفسدون في الأرض.

إن العلّة النفسية الأولى لدى إبليس إنما هي علة التكبّر، ثمّ لما ظهر فضل آدم بالعلم والمعرفة واكتشاف خصائص الأشياء وسماتها، أكلت نيران الحسد قلبه على آدم وذريته، فأعلن عداوته لهم، وقرر أن يتابعهم بالإغواء والتضليل، حتى يوقعهم في الهلاك والشقاء الأبدي، إذا استجابوا له فكفروا بربهم وعصوا أوامره ونواهيه.

كان حسد إبليس من أخسّ درجات الحسد، إذ تولد عنه وعن خُلق الكبر البغض والعداء الشديد، والرغبة في إهلاك المحسود وتحطيمه ودفعه إلى دركات الجحيم.

وقيل: إن أول ذنب عصي الله به في الأرض هو الحسد، حيث حسد قابيل بن آدم أخاه هابيل، وحقد عليه وهدّده بالقتل، وطوعت له نفسه قتل أخيه لينفرد بتو أمته فيتزوجها دون أخيه، فأصبح بقتله من الخاسرين، و لم يجد من أخيه دفاعًا. وكان قابيل مثلاً لذوي النفوس الشريرة المجرمة، وكان هابيل مثلاً لذوي النفوس الخيرة المسالمة.

ثم لقي قابيل مشكلة في مواراة جثة أخيه، و لم يدر كيف يخفيها، فحملها وجعل يتنقل بها من مكان إلى مكان، ويخشى افتضاح أمره فبعث الله غرابًا، فوقف بالقرب منه وجعل الغراب يبحث في الأرض حتى احتفر حفرة، فلما أتمها دفن جثة غراب ميت فيها. فعندئذ قال قابيل: ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ

www.mtenback.com

سَوْأَةَ أَخِي﴾[٧٧]. وعندئذ عظم الإثم في نفسه، وأصبح من النادمين على خطيئته. لقد جره الحسد الخبيث حتى ركب مركب الجريمة الكبرى، فقتل أخاه وعصى ربه.

هذه العظة ذكر القرآن خبرها. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[٧٨].

ومن أمثلة الحسد، حسد أولاد يعقوب - عليه السلام - لأخيهم يوسف عليه السلام إذ جعلهم الحسد يكيدون لأخيهم من أبيهم كيداً. وقد قصّ الله علينا قصة يوسف، وما كان من حسد إخوته له: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٧٩].

وأحسّ يعقوب بأن الحسد يأكل قلوب الإخوة على يوسف وأخيه، وأدرك أنهم لو عرفوا أن يوسف سيكون المفضل عليهم بالعطاء الإلهي في المستقبل حين يبلغ أشده،

---

[٧٧] سورة المائدة: ٣١.

[٧٨] سورة المائدة: الآيات ٢٧-٣١

[٧٩] سورة يوسف: ٨.

www.mtenback.com

لكادوه أيما كيد ولمكروا به، ليتخلصوا منه ومن تفوقه عليهم، غافلين عن أن القضاء الرباني لا يعاند. ولذلك لما رأى يوسف عليه السلام على – حداثة سنه الرؤيا المنامية المشهورة – إذ رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له، فأوّلها أبوه له بأنه سيبلغ مجدًا ورفعة يخضع له فيها جميع إخوانه حتى أبوه وقرينة أبيه. وقد رمز لهما في الرؤيا بالشمس والقمر، وأوصاه أبوه بألا يقص رؤياه هذه على إخوته، لئلا يكيدوا له كثيرًا مستجيبين في ذلك لوسواس الشيطان، هذا ما قصّه الله علينا في سورة يوسف[٨٠]. وقد أوصى يعقوب ابنه يوسف أن يكتم رؤياه ولا يقصها على إخوته. ومن هذه الوصية نستفيد استحسان كتمان دلائل النعمة القادمة والمبشرات بها، لئلا تثير حسد الحاسدين وتحرضهم على فعل الشرور وتدبير المكائد.﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٨١].

واشتد حرص يعقوب على يوسف بعد هذه الرؤيا وزاد شغفًا وعناية به، الأمر الذى ضاعف من حسد الإخوة، وعندئذ تحول الحسد فيهم إلى نية أكيدة في تدبير مكيدة للتخلص من يوسف، فتآمروا فيما بينهم على قتله، أو طرحه في البرية في مكان خالٍ حتى تأكله السباع، لولا أن أخفّهم حسدًا وأخشاهم لله، نصحهم بأن يلقوه في بئر من آبار البرية الواقعة على طريق القوافل، لتلتقطه إحدى القوافل وتذهب به، وبذلك يتخلصون منه دون أن يرتكبوا الجريمة الكبرى جريمة القتل ظلمًا وعدوانًا.

واستقر رأيهم على أن يتخلصوا من يوسف بهذه الطريقة، وكان لا بد لهم من حيلة يحتالونها على أبيهم حتى يبعدوا يوسف عن نظره ومراقبته، إذ كان لا يأمنهم عليه. فجاؤوا أباهم بالعتاب الشديد، لأنه لا يأمنهم عليه – مع أنهم إخوته – وهم له ناصحون، ولأنه لا يبعثه معهم إذ يخرجون إلى المراتع والمراعي. فاعتذر يعقوب بأنه

---

[٨٠] سورة يوسف: ٤-٦.

[٨١] سورة يوسف: ٥.

www.mtenback.com

يحزنه فراقه، وبأنه صغير يخاف عليه أن يأكله الذئب، فأظهروا لأبيهم قدرتهم على حمايته، فهم عصبة، ولن يستطيع الذئب أن يصل إليه.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[٨٢].

أراد يعقوب ألا يصرح لهم بأنه لا يأمنهم عليه، فاعتذر بأن فراقه يحزنه، فأجج بذلك حسدهم، وذكر لهم أنه يخاف أن يأكله الذئب، فتصيدوا هذا التخوف لديه ليقولوا له فيما بعد: لقد أكله الذئب.

وأخذوه ونفذوا مكيدتهم وألقوه في البئر. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٨٣].

وعادوا مساء إلى أبيهم بدموع كاذبة، ودم كذب،وأقوال كاذبة.قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ. قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ. وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[٨٤].

---

[٨٢] سورة يوسف: ١١-١٤

[٨٣] سورة يوسف: ١٥

[٨٤] سورة يوسف:١٦-١٨.

www.mtenback.com

وبهذه الجريمة النكراء داوى الإخوة داء الحسد الذي أكل قلوبهم. ولكنهم ما عرفوا أن طريق المجد الذي قضاه الله ليوسف عليه السلام كان من نافذة الجبّ الذي رماه فيه إخوته وهم له حاسدون، وأنهم بعد حين سيذهبون إليه ساجدين، وهو متربع على سرير السلطان في مصر، وأنه سوف يذكرهم بما بدر منهم، ويشملهم بالعفو والصفح.

علاج داء الحسد:

الحسد من الرذائل الخلقية ذات الآثار النفسية والاجتماعية السيئة على الأفراد والجماعات، وهو داء إذا أصاب النفس الإنسانية أضناها وأشقاها، وجعلها مصدر أذى للآخرين الذين امتحنهم الله بفضل من نعمه ومزيد من عطائه.

والحسد من شر معاصي القلوب، وهذه أشد إثمًا من كثير من معاصي الجوارح، بسبب آثارها الخطيرة في السلوك والشخصية.

وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس، ذلك أنه ربما أخفق حيث نجح غيره، وربما تخلف حيث سبقه آخرون.

فمن الغباء أو الوضاعة أن تلتوي الأثرة بالمرء فتجعله يحسد كل إنسان، لا لشيء، إلا أنه هو لم يربح! ثم إن العاقل يجب أن يكون أوسع فكرًا. وأكرم عاطفة، فينظر إلى الأمور من الصالح العام، لا من شهواته الخاصة، وجميع الحاسدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاتهم وامتلأت به أكف أخرى، وهذه هي الطامة التي لا تدع لهم قرارًا.

والرجل الذي يكره الذين أنعم الله عليهم، يود لو يُمْسُون محرومين ويصبحون ضائعين، رجل ضللته عن حقيقة الحياة ظلمات شتى.

إنه أولاً محصور بالدنيا ومتاعها، يقاتل عنها ويبكي عليها، ويتبع بالغيظ من نالوا نصيبًا أكبر منه.

www.mtenback.com

ثم إن الحاسد بعد ذلك، شخص واهن العزم، كليل اليد، جاهل بربّه وبسنته في خلقه، ذلك أنه لما فاته الخير أراد أن يكيد للناجحين، وكان أجدى لـــه أن يســـتأنف السعي في الحياة، فلعل ما عجز عنه في البداية يدركه ثانية. إن هذا لا ريب أشرف مـــن الضغينة على الآخرين.

والبون شاسع بين الحسد والطموح، وبين الحسد والغبطـــة، وبـــين الحســـد واستنكار العوج في الأوضاع والخلط في المنع والعطاء.

فالطموح رغبة في الرفعة وسعي إليها. وذلك شأن العقلاء وشأن الصالحين من عباد الله. والتطلع إلى فضل الله مع الأخذ بأسباب الاكتساب دون كراهية فضـــل الله حين ينزل بإنسان معين.

وعلى الحاسد أن يسهم هو نفسه في معالجة دائه، وليس أروح للمرء، ولا أطرد لهمومه، ولا أقرّ لعينه من أن يعيش سليم الصدر طيب القلب مبرأ من وساوس الحسد، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها وأحس فضل الله فيها، وفقر عباده إليها، وذكر قول رسول الله ﷺ: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحـــدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر»[٨٥].

وإذا رأى أذى يلحق أحداً من خلق الله رثى له ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه. وبذلك يحيا ناصع الصفحة راضياً عن الله وعن الحياة، مستريح النفس.

وتبدأ عملية العلاج الصحيح بأن يصحح الإنسان مفاهيمه بالقناعـــات الكافيـــة المتصلة بقواعد الإيمان، وأسسه الفكرية. فمتى استقامت داخل النفس الإنسانية المفـــاهيم الإيمانية الكبرى وهيمنت فيه على مراكز الشعور ومرابض الوجدان ومواطن العواطف، استقام تكوينه النفسي في خضم بحر الأهواء والشهوات والمطامع والدوافع والانفعالات.

---

[٨٥] أبو داود، سليمان بن الأشعث: في باب الأدب، سنن أبي داود، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميـــد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، باب الأدب ٣١٨/٤ حديث رقم ٥٠٧٣.

www.mtenback.com

ويكون تصحيح هذه المفاهيم بترسية الإيمان بالله تعالى وبصفاته العلية، وبحسن الفهم عن الله والتبصّر بعظيم حكمته جلّ وعلا في عطائه ومنعه، وخفضه ورفعه، وإعزازه وإذلاله، وفي كل ما تجري به مقاديره. وبالتبصّر بأن حكمة الله العظيمة لا تفارق قضاءه وقدره. وبالتبصّر أيضًا بأن الأصل في النعم والمصائب في ظروف الحياة الدنيا أنها مجالات امتحان واختبار، وأن الحرمان قد يكون خيرًا للإنسان من العطاء، وأن المصيبة قد تكون خيرًا له من النعمة، بالنظر إلى عواقب كل منهما. وأن الله العليم الحكيم هو الذي يعلم موطن الخير، وكثيرًا ما نحب ما هو شرّ لنا والله يعلم حقائق الأمور، ونحن نغتر بظواهرها وزينتها.

ومتى صح الفهم عن الله على هذا الوجه اطمأن قلب الإنسان، وغشيته السكينة، وتنزلت عليه الرحمة، وعرف أن الخير كل الخير مرتبط بما يقضيه الله له من مصيبة أو نعم، وبما تجري به مقاديره.

وعندئذ يقطع نظره عن الناس، فلا ينظر إلى ما وهبهم الله من نعم وعطايا، لأن فهمه استقام عن الله، فعلم أنها صور من صور الابتلاء، وليست صورًا من صور التكريم. ومتى انقطع نظره عن الناس لم تتهيج في نفسه أسباب الحسد.

ثم يأتي علاج التدريب العملي على كف البصر عمّا وهب الله الناس من نعم، وما فضلهم به من عطايا وهبات، وذلك بحصر التطلع الدائم إلى عظيم فضل الله وبحور خزائنه التي لا تنفد. وقد أرشد القرآن إلى هذا العلاج. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٨٦].

[٨٦] سورة النساء: ٣٢.

www.mtenback.com

وإن كان نقل الطباع عسيرًا، ولكن بالرياضة والتدرج يسهل منها ما استصعب، ويستجيب منها ما أتعب، فإذا عانى الحاسد تهذيب نفسه تظاهر بالتخلق دون الخُلُق ثم بالعادة يصير كالخُلق.

قال أبو تمام[٨٧]:

فَلَمْ أَجِدِ الأَخْلاَقَ إِلاَّ تَخُلُّقًا وَلَمْ أَجِدِ الأَفْضَالَ إِلاَّ تَفَضُّلاَ

فعلى الحاسد أن يكلف نفسُه نقيض الحسد، فإن حمله الحسد على القدح في محسود كلف نفسه المدح والثناء عليه، وإن حمله على النكير عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الإنعام ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه، ومهما ظهر حبّه عاد الحاسد فأحبه وتولدت من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد، لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة، يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه، ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان، ثم ذلك الإحسان يعود على الأول، فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً طبعًا آخر[٨٨].

وهناك وسيلة وقائية يمكن أن تقي من الإصابة بداء الحسد، وهي وسيلة التربية منذ الطفولة على التخفف من الشعور بالأنانية المفرطة، وذلك باتخاذ الوسائل التي تربي في الناشيء حبّ الآخرين، وعدم النظر إلى ما عندهم بطمع ورغبة في الاستيلاء على ما وهبهم الله إياه.

---

[٨٧] ديوان أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي: شرحه وعلق عليه شاهين عطية، مكتبة الطلاب، بيروت، ط١، (١٣٨٧هـ).

[٨٨] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢٤٧/٣.

www.mtenback.com

الكبر والعجب بالنفس:

ومن أدواء النفس الخطيرة التي تؤثر في سلامة الصدر الكبر والعجب بالنفس، وهو داء يمثل انحرافًا خلقيًا يجنح بالإنسان عن سبيل الحق. والكبر يرجع في جذوره النفسية إلى شعور المغرور بالاستعلاء الذاتي على الأقران والنظراء، وعلى المكانة التي يجد المستكبر نفسه فيها داخل مجتمعه، ويرجع إلى الرغبة بإشعار الآخرين بالامتياز عليهم ولو لم يكن لهذا الامتياز وجود في الواقع، فهو انتفاخ بغير حق أو تصغير ما لهم بغير حق.

ويرجع أيضًا إلى الرغبة الجامحة بعدم الخضوع لأحد، ويقترن بهذه الرغبة الشعور الجاهل المغرور بالاستغناء الذاتي. وللكبر والعجب بالنفس أسباب نفسية تنبع من منابع الأنانية المفرطة. من هذه الأسباب:

الرغبة في عدم الخضوع لأحد، وتمتد هذه الرغبة في أقصى مداها إلى التمرد على طاعة الخالق الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وبيده الحياة والموت والنفع والضر، وهو على كل شيء قدير.

ومع هذه الرغبة الحمقاء يأتي الشعور النفسي الجاهل المغرور باستغناء المستكبر بذاته، ومتى عظم هذا الشعور واستولى على جوانب النفس تولد عنه في سلوك المستكبر الطغيان، ولا ينمو هذا الشعور ويعظم إلا وفي العقل نقص، وفي الإدراك قصور، وقد ينشأ ذلك عن حجب كثيفة من الرغبات النفسية الجامحة، تحجب البصيرة، عن إدراك كثير من الحقائق التي تخالف هذه الرغبات.

قال الشاعر[٨٩]:

التِّيهُ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ، مَنْقَصَةٌ لِلْعَقْلِ، مَهْلَكَةٌ لِلْعِرْضِ، فَانْتَبِهِ

---

[٨٩] أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دار الرشيد، دمشق، ط٣، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٤٢٧.

www.mtenback.com

ومن الأسباب الداعية للكبر: الطموح الجامح للامتياز على الآخرين، والرغبة الطاغية في احتلال المرتبة المتفوقة ولو بغير حق. ومع إرادة هذا العلو في الأرض يأتي الشعور الجاهل المغرور بالاستعلاء الذاتي. والمستكبر من هذا النوع يجد أن من حقه على المجتمع أن يمنحه هذا الامتياز والتفوق، وأن يعترف له به، وحين لا يعطيه المجتمع هذا الحق الذي رآه لنفسه يحقد، وتبدو منه تصرفات عجيبة حمقاء تجاهه.

أو يركبه شعور بأنه لا يستطيع أن ينال ما يطمح إليه عن طريق الاستكبار. إن مستكبراً من هذا النوع لا يريد أن يعرف أن طريق المجد صعب، وأنه طريق صاعد لا يرتقى إلا بشق الأنفس، وبجهاد طويل وكفاية فطرية.

إنه مستكبر تزين له نفسه أن يختصر الطريق، فيستكبر انتفاخًا، بدل أن يجدّ ويأخذ بأسباب الكمال والرفعة الحقيقية، بما ينسجم ويتوازن مع إمكاناته وطاقاته ومواهبه. إنه مستكبر لايقنع بطلب مايقدر عليه بل يريد أن يعاكس سنة الحياة وطبائع الأشياء، وتزين له نفسه أن الاستكبار من الطرق التي تمكنه أن يعتلي مرتبة مجد ليس مؤهلاً لها بخصائصه الفطرية و المكتسبة، فيكون مثله مثل الشاة التي تلبس جلد النمر، أو مثل الزبد مطروحًا لا قيمة ولا جسم له.

إن طلب المجد بالاستكبار غباءٌ لأن الصلة بين المجد والاستكبار منقطعة تمامًا، فلا يتصلان إلا فى وهم المستكبر، أو خرافة الخيال، أو أحاديث مرضى العقول. قال على بن الجهم[٩٠]:

لَوْ كَانَ عُجْبُكَ مِثْلَ لُبِّكَ لَمْ يَكُنْ ... لَكَ وَزْنُ خَرْدَلَةٍ مِنَ الْإِعْجَابِ

أَوْ كَانَ لُبُّكَ مِثْلَ عُجْبِكَ لَمْ يَكُنْ ... أَحَدٌ يَفُوْقُكَ مِنْ ذَوِي الأَلْبَابِ

ومن دواعي الكبر: الرغبة في إخفاء ما يشعر به المستكبر من نقص في ذاته أو في عمله، وهو حريص على أن يكون في أعين الناس كبيرا، وألا يكتشفوا نقصه.

[٩٠] علي بن الجهم، ديوانه، تحقيق: خليل مردم بك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص١٣.

www.mtenback.com

ومع هذه الرغبة، يأتي السلوك الغبي لتغطية النقص انتفاخًا واستكبارًا، فيفضح بهذا السلوك نفسه، إذ يوجه أنظار الناس إليه، باحثين عن حقيقة حاله. والناس بطبعهم لا تخفى عنهم محاولات المستكبر ولا أهدافه، إنهم يكشفونه ويستبنون نقصه فيحتقرونه، ويستصغرون عقله. قال المتنبي[٩١]:

وَإِنِّي رَأَيْتُ الضُرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا وَأَهْوَنَ مِنْ مَرْأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبْرُ

وقد عرَّف الرسول الكبر بأبرز مظاهره في السلوك. روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا، فقال رسول الله: إن الله تعالى جميل يحب الجمال. الكبر: بطر الحق وغمط الناس»[٩٢]. والبطر له معان: جاء في لسان العرب[٩٣] البطر: النشاط، و التبختر، وقلة احتمال النعمة، والدهش والحيرة. والبطر عند دوام النعمة الكثيرة يدل على الطغيان والخروج فيها عن حد الاعتدال إلى الإسراف والتبذير والاستهانة. والبطر في أحوال المسرة يدل على شدة المرح والإفراط فيه. والبطر عند مواجهة الحق يكون بالاستعلاء عليه، والاستكبار عن قبوله والتفريط في شأنه والاستهانة به. كما أن بطر النعمة يكون بالاستهانة بها والطغيان فيها، والتعالي عليها، كذلك بطر الحق يكون جحودًا له وتفريطًا منه واستهانة بشأنه. والحقّ من أعظم النعم التي تساق إلى الإنسان والتي يجب أن يتعامل معها بالاحترام والقبول والشكران، فبطر الحق يعني جحود الحق، مع الاستهانة به، والاستعلاء عن قبوله، وهذا أقبح صور الكبر. ولكن كيف نتصور أن يكون عدم قبول الإنسان للحق نوعًا من أنواع الكبر؟ أو مظهرًا من مظاهره؟

---

[٩١] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوانه، وضعه: عبد الرحمن البرقوي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج٢، ص٢٦٢.

[٩٢] رواه مسلم في كتاب الإيمان، صحيح مسلم ٦٦/١، حديث رقم ١٤٧.

[٩٣] ابن منظور: لسان العرب، مادة (بطر) انظر: ٦٨/٤.

www.mtenback.com

إجابة عن هذا السؤال يمكن تقديم أمثلة عملية كاشفة عليها. إننا نجد كثيرًا من ذوي المكانة أو الرياسة أو السلطان في قومهم، إذا عرض عليهم من دونهم في المكانة أو المنزلة أمرًا حقًا، ولكنه جاء مخالفًا لرأيهم أو لما قرروه وعملوا به؛ جحدوه وأنكروه واستصغروا صاحبه، وأصروا على مخالفته، وإن ظهر لهم أنه الحق، وربما كانت مصلحتهم الخاصة في التزام الحق ونبذ الباطل الذي أصروا عليه. هذا الصنف موجود بكثرة بين الناس، وكثيرًا ما نجد أمثاله في المستويات العامة، وفي الدوائر الإنسانية الصغرى، في المدرسة وميادين العمل بين الزملاء.

وحين لا يكون رفض الحق وعدم الأخذ به ناشئًا عن هوى نفسي خاص لا يأتي من جهة الباطل، فإننا لا نجد مسوغًا له إلا استكبار الجاحدين عن قبول الحقّ الصادر عن غير رأيهم. فالذي يسمع الرأي الحق من الآخرين فيرفضه ويردّه، دون أن يكون له هوى خاص في مخالفته لذاته، ولو أنه كان من نتاج رأيه لكان من الداعين له والمفاخرين به، والمتعالين بين الناس بأنه صاحب الفكرة ومبتكرها، لا يفعل ما يفعله إلا بداعي الكبر القبيح فى نفسه.

وإنّ المحذور الذي يخشاه – إذا هو تقبل الحق الصادر عن غيره – أن ينال المجد ذلك الذي صدر عنه الحق أو دعا إليه، فيكبر به عند الناس، وينازعه مكانة اجتماعية يطلبها لنفسه.

على أن هذا المحذور لا يعدو أن يكون نسيجًا من الأوهام، ولو أنه عقل وتبصر بحقيقة الأمر، لعرف أن المجد الذي يظفر به حينما يقبل الحق ويرجع إليه من أي مصدر أتى أجلّ وأعظم مما يريد المحافظة عليه لنفسه. فالاستكبار خطة رعناء لبلوغ المجد وارتقاء سلم الشهرة وذلك لأن الناس مثله، يعرفون دوافع النفوس، ويحتقرون المستكبرين ويستصغرونهم ويكبرون مَنْ يقبلون الحق ويرجعون إليه، ولا يستكبرون عنه. وقد عبر أبو العلاء عن ذلك بقوله[٩٤]:

---

[٩٤] المعري، أبو العلاء: ديوان سقط الزند، دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٢١.

www.mtenback.com

وَالْكِبْرُ وَالْحَمْدُ ضِدّانِ اتّفَاقُهُمَا مِثْلُ اتّفَاقِ فتَاءِ السِّنّ وَالكِبرِ
يُجْنِي تَزَايُدُ هَذا مِنْ تَنَاقُصِ ذَا وَاللّيْلُ إنْ طَالَ غَالَ الْيَوْمَ بِالْقِصَرِ

فالناس يكرهون المستكبرين ولا يحبونهم، ويحبون المتواضعين موطّئي الأكناف ويحمدونهم، أما من يستكبرون فيستصغرونهم، ولا يجدون لهم حمدًا. قال الشاعر[٩٥]:

اَلْكِبرُ تُبْغِضُهُ الكِرَامُ وَكُلُّ مَنْ يُبْدِي تَوَاضُعَهُ يُحَبُّ وَيُحْمَدُ

إن المجد الذى ناله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقبوله الحق ورجوعه إليه، وعدم استكباره فى نفسه بما وصل إليه من سلطان، لم يكن ليظفر بعشر معشاره، لو كان مستكبرًا عنيدًا مغرورًا بنفسه معجبًا برأيه. فمن لطائف خوف عمر على نفسه من الكبر ومن العجب بالنفس، أنه ركب ذات يوم برذونًا، فجعل هذا البرذون يتبختر به، فأخذ يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا، فنزل عنه وقال: ما حملوني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي[٩٦].

وقصته حين قدم في فتح بيت المقدس، وكان فيها من مظاهر تواضعه لله، وعدم استكباره في الأرض قصة معروفة مشهورة، وهي من روائع قصص العظماء، إذ كان يتناوب الركوب هو وخادمه، وكانت النوبة الأخيرة قبيل الوصول أن يركب خادمه الناقة، ووصل عمر رضي الله عنه إلى القوم ماشيًا يقود الناقة، فلم يقلل ذلك من مجده، بل زاده مجدًا إلى مجد ومكانة إلى مكانة[٩٧].

فيتلخص بطر الحق بأنه جحود الحق مع استهانة به واستعلاء عليه، إرضاء للنفس الأنانية المستكبرة التي تستعلي عن اتباع الحق والانصياع له مادام ليس معها،

---

(٩٥) أحمد قبش، مجمع الأمثال والحكم: ٤٢٧

(٩٦) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر بيروت، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٤/١٦٠.

(٩٧) المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وتستعلي عن الرجوع إلى الحق لو تبينّ لها خطؤها، عناداً وإصراراً على الباطل فترى أنها أكبر من أن تستجيب لدعوة الحق، وأكبر من أن يخفى عنها أمر ويعلمه آخرون.

أما الجزء التالي من تعريف الرسول عليه الصلاة والسلام للكبر وهو غمط الناس فهو الاحتقار والازدراء والاستصغار، وعدم مقابلة الإحسان بالشكر.

وغمط الناس احتقارهم، واستصغارهم، والاستهانة بأقدارهم، وعدم شكرهم على إحسانهم، والترفع عن الثناء عليهم بفضائلهم، وعدم الاعتراف بحقوقهم وصفاتهم الفاضلة. ويصل طغيان هذا الغمط إلى مداه في محاولة حرب الناس لهدم فضائلهم، وطمس كمالاتهم، وتحقيرهم وتصغيرهم بالكذب والزور والبهتان، بغية احتفاظ المستكبر بالمكانة الاجتماعية لنفسه دون الآخرين. فهو إذا لم يستطع أن يعتلي مكانة المجد بكماله، فإنه سيحاول اعتلاءه بتحطيم كمال الآخرين، وتهديم مكاناتهم الاجتماعية، هكذا تأمره نفسه الشريرة الأنانية المستكبرة.

وعلى قدر ما يكون في نفس المرء من كبر، وعدم تقدير لعواقب الأمور، يكون غمطه للناس، ويخف ذلك متى تناقص الكبر أو حصل شيء من خشية الله، أو كان صاحب هذا الخلق عاقلاً حصيفًا يحسن تقدير عواقب الأمور ونتائجها. ومتى عظمت الخشية من الله، واستقام العقل في تقديره للعواقب صلح حال الإنسان، وشفي صدره، وسلم من مرض الاستكبار بغير حق، ووجد أن المجد العظيم الذي يحققه بطاعة الله، والتواضع وابتغاء مرضاته، أجل وأعظم بكثير من المجد الذى تصبو إليه نفسه، ويحاول السعي إليه عن طريق الاستكبار الذي لا يوصل إلى مقام كريم، بل إن من سار فيه أشواطًا انهار به، فوجد نفسه في موقع الضعة والمهانة والمذلة، ورأى الناس يعاقبونه على كبره بالاحتقار والاستصغار. قال المعري[٩٨]:

الوغدُ يْجعلُ ما أُنيل غنْيمةً ... ويُغْيرُ في الأطماعِ كُلّ مغار

[٩٨] المعري، أبو العلاء: اللزوميات، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٥٩١/١.

www.mtenback.com

والحرُّ يجْزي بالصّنيعة مُسديًا فكأنّ فعلهُما نكاحُ شِغارِ
وَلِكُلِّ مَا أَصْبَحْتَ تُدْرِكُ حِسّهُ ضِدٌّ، وَكِبْرَةُ مَنْ تَرَى كصِغار
فَاصغُرْ لتَعظُم، كم تَجَمّعَ واثبٌ ثم اسُتعزّ، فَعَزّ بعد صَغارِ

ومن الملاحظ أن الناس يحبون المتواضع ويألفونه، ويكرهون المستكبر، والسرّ في ذلك أن المتواضع ينزل نفسه إلى مستوى جلسائه، فيعيش معهم بوداعة وانطلاق، ويعيشون معه بمثل ذلك، فيتم بينه وبينهم الإلف والوئام، وذلك يولد المحبة، بخلاف المستكبر، فإنه يرفع نفسه فوق مستوى جلسائه، فيعيش وحده في جوه النفسي المتعاظم، ويحيط نفسه بسياج شائك، لا وداعة فيه ولا انطلاق، وحين يرى جلساؤه ومعاشروه ذلك منه يبتعدون عنه بنفوسهم فلا يألفونه، ويرونه يضع نفسه فوقهم فيكرهونه. فكلتا الثمرتين من النتائج الطبيعية لكل عمل.

يضاف إلى ذلك أن المتواضع لا يثير في الناس دافع المنافسة فيكون مألوفًا محبوبًا، بخلاف المستكبر فهو يثير في الآخرين دافع المنافسة بقوة، فيكون مكروهًا غير مألوفٍ للنفوس، لا سيما إذا كان هو في نظرهم دون المكانة التي يرفع نفسه إليها.

آثار الكبر في السلوك:

تتولد عن داء الكبر الذي تصاب به النفوس أنواع قبيحة من السلوك الداخلي والخارجي.

فالمستكبر يجحد الحق الذي لغيره ولا يعترف به، لأنه لا يريد أن يخضع إلا لهواه، أو لا يريد أن يتفوق عليه أو يساويه في الامتياز أحد. وحين لا يملك تغيير الواقع فما عليه إلا أن يستره بغمطه وجحوده وتنقيصه، وبالتعالي عليه في تصرفات وأعمال من شأنها إشعار الآخرين بأنه ذو امتياز أسمى مما لغيره.

www.mtenback.com

وقد يصل المستكبر إلى مستوى بالغ في الإجرام، يعمل على قتل ما لدى غيره من قدرات ومزايا اختص بها دونه، وليس لحد الأذى بعد ذلك نهاية بعد أن يغطي الران قلبهُ.

ومتى تمادت الأنفس في غرورها أصابها مسّ من الطغيان، وكان كبرها أشبه ما يكون بالطوفان. وطوفان الكبر قد يصل في أقصى حده إلى جحود الله والاستكبار عن عبادته وطاعته، وتحدّي جلاله وقهره لعباده ويقف في أدنى حدّ عند احتقار الناس وازدرائهم واستصغارهم، والاستهانة بما عندهم والتعالي عليهم.

والغرور بالنفس ينفخ في صدور المستكبرين حتى يروا أنفسهم عظماء كبراء، وهم في واقع حالهم صغارٌ جدًا. إن شعورهم حول أنفسهم شعور زائف صنعته الأوهام، لا يصاحبه نماء حقيقي فيما تملكه ذات المستكبر من خصائص وقوى معنوية أو مادية.

ومن آثار الكبر فى السلوك الظاهر، الهزء والسخرية بالآخرين، واحتقار الناس وازدراؤهم، وحركات الغمز واللمز والهمز والتعبير بالتنقيص، وقد يكون من آثاره أيضًا فضح العيوب وكشف نقائص الناس، وهذا بدوره يزرع في نفوسهم الكراهية والحقد والنفور من المتكبر وبطر الحق.

ومن علاماته أيضًا التبختر والخيلاء والمرح في المشية استكبارًا على الناس وافتخارًا وتعاليًا عليهم. والمرح يأتي فى اللغة بمعنى شدة الفرح والنشاط، حتى يجاوز قدره. ويأتي أيضًا بمعنى التبختر والاختيال. وهو عمل بغيض إلا إذا كان من ورائه تحقيق غرض مشروع كالتبختر في مواطن قتال أعداء الله لإلقاء الوهن والذعر في قلوبهم، مع ابتغاء مرضاة الله فى ذلك.

ومن علاماته تصعير الخد والإعراض عن حديث المتحدث. أما تصعير الخد للناس فهو إحالة الوجه عنهم على سبيل الإعراض عن استكبار، وأصل الصَّعَر ميل في

www.mtenback.com

الوجه، وقيل: هو ميل في الخدّ خاصة، وقيل: هو ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين. وقد اشتهر عن العرب قولهم صعّر فلان خده وصَاعَر إذا أماله من الكبر. قال المتلمّس[٩٩]:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَمَا

أي: إذا أمال متكبرا خدّه أذللناه حتى يتقوم ميله.

وقياسًا على تصعير الخد فإن كل إعراض عن الناس على سبيل الكبر يدخل فيه.

ومن آثار الكبر وعلاماته جرّ الثوب على الأرض خيلاء. وقد كان فى عرف العرب أن من أطال من الرجال إزاره وجّره على الأرض كان ذلك دليلاً على كبره وعجبه بنفسه.

الاستهزاء والسخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب:

الهمز والسخرية في اللغة مترادفان، وكلّ منها يطلق على ما يطلق عليه الآخر. يقال: سَخِر منه وبه سَخْرًا وسُخْرا وسُخْرِيّة: هزىء به. قال أعشى باهلة عندما بلغه خبر مقتل أبيه:

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ، لاَ أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَلْوَ، لاَ عَجَبٌ مِنها وَلاَ سُخْرُ[١٠٠]

وقال الرّاعي[١٠١]:

تَغَيَّرَ قَومِي وَلاَ أَسْخَرُ وَمَا حُمَّ مِنْ قَدَرٍ يُقْدَرُ

قوله: لا أسخر: أي لا أسخر منهم.

---

[٩٩] ابن منظور، لسان العرب، انظر: مادة صعر: ٤/٤٥٦

[١٠٠] المصدر السابق: مادة (س خ ر): ٤/٣٥٢

[١٠١] الراعي النميري، أبو جندل عبيد بن حصين: ديوانه، دراسة وتحقيق: نوري القيسي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٢٠٨.

www.mtenback.com

والإنسان ينفخ في نفسه الغرور، فيرى أنه كبير عظيم ويرى غيره من الناس أصغر منه وأقل شأنًا، فإنه يشعر نحوه بنوع من الاستعلاء، وهذا الشعور يجعله يترفع عن الذين يستصغرهم، فإذا أحوجته الظروف الاجتماعية إلى معاشرتهم، فإنه يجد نفسه مدفوعًا إلى إبراز استعلائه عليهم بأنانية مستكبرة. وهنا تعبث به نوازع الكبر، فيحاول أن يتصيد أي شيء لتحقيرهم وتصغيرهم في المجتمع الذي أحوجه إلى معاشرتهم، أو مشاركتهم في قول أو عمل أو أي مجال من المجالات، فإذا ظفر بعيب في الجسم أو بعيب في القول، أو بنقص في الرأي، أو بمخالفة للمعتاد في الحركة أو المشي أو اللباس، أسرع إلى لفت الأنظار إليه والاستهزاء به و السخرية منه، وإذا لم يظفر بشيء من ذلك حاول أن يتصّيد من أسمائهم وألقابهم ما يكون مثارًا للهمز و السخرية، فإذا لم يظفر بشيء من ذلك تصنّع مثيرات الهزء والسخرية تصنعًا دون أي أساس لها من الواقع. كل ذلك يفعله ظلمًا وعدوانًا، إرضاء لاستكباره واستعلائه بنفسه.

أما اللمز: فهو الإشارة على سبيل التحقير والتنقيص ببعض حركات الوجه، مع كلام خفي يتضمن ذلك بحضور من يراد تحقيره وتنقيصه.

وأما الهمز فهو نظير اللمز، ولكن في غيبة من يراد تحقيره وتنقيصه، ودون اشتراط إخفاء الكلام.

والأصل في اللمز والهمز الطعن والضرب الماديان، ثم استعملا في الطعن والضرب المعنويين. وهما من الظواهر التي قد يدفع إليها خلق الكبر[١٠٢].

وأما التنابز بالألقاب، فهو التداعي بالألقاب التي فيها إساءة وذم، وذلك بأن يطلق إنسان على إنسان لقبًا يشعر بذم له، أو فيه تحقير أو تنقيص، أو غض من كرامته أو خفض من مكانته[٧١].

---

[١٠٢] انظر: الزبيدي: تاج العروس، ٧٩/٤. مادة (ل م ز).

[٧١] انظر المرجع السابق: ٨٣/٤. مادة (ن ب ز).

www.mtenback.com

يقال لغة: نَبَزَه ينبُزُه نَبْزًا إذا لقبه بلقب ما، ويكثر استعمال النبز في ألقاب الذمّ، ويسمىّ اللقب نبزًا وجمعه أنباز[١٠٣].

وبعض الناس يظلمون إخوانهم، فينبزونهم بألقاب قبيحة، ليخفضوا من شأنهم بين الناس، وهم يحاولون أن يجعلوا هذه الأنباز القبيحة لاصقة فيهم، إذلالاً لهم وتحقيرًا.

الترفع عن مجالسة الفقراء والمساكين والضعفة من الناس:

ومن مظاهر الكبر الطبقي، ترفع فريق من ذوي الغنى أو الجاه أو الحسب أو النسب عن مجالسة الفقراء والمساكين والضعفة من الناس، حتى يجعلهم هذا الكبر جفاة لخير كثير لمجرد وجود فريق من الناس يرون أنهم دونهم في المستوى الفكري، أو العلمي أو في الطبقة الاجتماعية.

وهذا الكبر الطبقي يكون سببًا في صد الناس عن حضور مجالس العلم ومجالس العبادة، ومجالس الخير العامة.

ومن أمثلة الكبر الطبقي أن فريقًا من ذوي الوجاهة من مشركي قريش استكبروا واستنكفوا أن يجلسوا مع رسول الله ﷺ لاستماع ماعنده، بسبب وجود عبيد وفقراء ومساكين من المسلمين يجلسون عند رسول الله ﷺ، ويلازمون مجامع الخير والعلم والذكر، فطلبوا منه أن يطردهم من مجالسه، أو يخصص مجالس للرؤساء وذوي المكانة حتى يجتمعوا به فيها، فتكون لهم مزيتهم الطبقية بين العرب[١٠٤]. فنهاه الله تبارك وتعالى عن تلبية مطالب هؤلاء المستكبرين عن مجالسة مساكين المسلمين وفقرائهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١٠٥].

---

[١٠٣] الزبيدي: تاج العروس، ٨٣/٤، مادة (ن ب ز).

[١٠٤] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٢٦٠/٣.

[١٠٥] سورة الأنعام: ٥٢.

www.mtenback.com

وقد سبق مستكبرو قوم نوح مشركي العرب في مقالتهم إذ قالوا لنبيهم: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾[١٠٦]، وطالبوه بأن يطرد هؤلاء الأراذل عن مجالسته، وجعلوا ذلك تعلة سوغوا بها كفرهم به وتكذيبهم له. هم يعنون بالأراذل ناقصي المكانة الاجتماعية كالفقراء والضعفاء، ويزعمون أن هؤلاء متسرعون لا عقل عندهم، ولا روية لهم يتبعون بادي الرأي، أي: ظاهر الرأي وأوله، دون أن يكون منهم تدبر وتعمق في الفكر، ويكتفون بما بدا لهم من رأي فيتبعونه، فمن العقل ألا نسير في الطريق الذي يسيرون فيه.

ومن أمثلة الكبر الطبقي قول مشركي قريش: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١٠٧]. أي: أحد عظماء مكة والطائف دون محمد عليه السلام.

ومن أمثلة الكبر الطبقي، ما كان من بني إسرائيل حينما طلبوا من نبيهم حزقيل أن يعين لهم ملكًا يقاتلون معه في سبيل الله، وقد قص الله قصتهم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا

---

[١٠٦] سورة هود: ٢٧.

[١٠٧] سورة الزخرف: ٣١.

www.mtenback.com

وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١٠٨].

ولقد شدد الإسلام اللائمة على المستكبرين وأوعدهم بالعقاب الشديد، كما رغب في التواضع وحث عليه، وأثنى على المتواضعين، ووعدهم بالثواب الجزيل.

ورد في الحديث الشريف: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون».

قالوا: يارسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين. فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون»[١٠٩].

والمتشدقون هم الذين يتكلمون بملء أفواههم، ويتصنعون القول تصنعًا مع التعاظم به والتعالي على الناس، فيرجع ذلك إلى دافع الكبر.

من هذا الحديث نعلم أن أبغض الناس إلى رسول الله وأبعدهم منه مجلسًا يوم القيامة المتكبرون.

وفي الحديث يقول الله تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»[١١٠].

وورد في الحديث: ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتُل[١١١] جواظ[١١٢] مستكبر[١١٣].

---

[١٠٨] سورة البقرة: ٢٤٦- ٢٤٧.

[١٠٩] أخرجه الترمذي، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن الترمذي، المكتب الإسلامي، بيروت (١٤٠٨هـ/١٩٨٥م)، حديث رقم ١٦٤٢.

[١١٠] رواه أبوداود في كتاب اللباس باب ماجاء في الكبر، سنن أبي داود، ٤: ٥٩.

[١١١] العُتل: الجافي شديد الخصومة بالباطل.

[١١٢] الجوّاظ: الجموح المنوع، أو هو المختال المتكبر، أو هو الفاجر .

[١١٣] رواه مسلم في باب صفة الجنة، صحيح مسلم، ١٥٤/٨.

www.mtenback.com

وفي الحديث: «إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»[١١٤].

وذكر: أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت. ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه[١١٥].

فهذا الرجل الذي أمره الرسول ﷺ بأن يأكل بيده اليمنى فلم يقبل، واعتذر بأنه لا يستطيع، إنما منعه الكبر أن يطيع الرسول ﷺ فيما أمره به لذلك قال دعا عليه الرسول بقوله: «لا استطعت» فكان جزاء كبره وكذبه أنه صار عاجزًا فعلاً عن أن يرفع يده إلى فيه بعد ذلك.

ففي الحديث أمران:

الأول: استنكار الكبر الذي يمنع صاحبه من الطاعة واستقباحه وتوجيه الذم والعقوبة لصاحبه.

الثاني: استنكار الكذب واستقباحه، وقد دفع الرجل إلى الكذب إرادته تغطية كبره.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»[١١٦].

فقد دلّت الأحاديث على أن المستكبرين أبعد الناس عن الجنة، وأن الكبر والكفر قرينان. ولكن ليس المراد بالكبر ما يشمل رغبة الإنسان أن يكون مظهره أنيقًا ولباسه حسنا بل المراد منه، كما فسره الرسول: «بطر الحق وغمط الناس»[١١٧].

---

[١١٤] سنن أبي داود ٤/٢٧٤.

[١١٥] رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب ١٠٧.

[١١٦] رواه مسلم في كتاب الإيمان، صحيح مسلم، ١/٦٥.

[١١٧] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ١٤٧.

www.mtenback.com

كما تدل النصوص الكريمة على أن الكبر داء يجر إلى أوخم العواقب.

ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: «احتجّت الجنة والنار، فقالت النار: فيّ الجبارون والمستكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء. وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليّ ملؤها»[118].

وقال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلّة تعجبه نفسه، مُرجِّل رأسه يختال في مشيته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى اليوم القيامة»[119].

فضل التواضع ابتغاء مرضاة الله:

وإذ حرمت النصوص الإسلامية الاستكبار بغير حق، وأبانت أن الكبر من قبائح أخلاق الإنسان، حثت على التواضع ابتغاء مرضاة الله ورغبت فيه، وأبانت أن من تواضع لله كافأه الله على تواضعه بالرفعة. فقد روى أبو هريرة أن الرسول ﷺ قال: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه»[120].

ولما كان التواضع من الأخلاق التي تملك القلوب بالمحبة، أمر الله رسوله بأن يخفض جناحه للمؤمنين مع أنه ﷺ رفيع المكانة في نفسه، عظيم المنزلة عند الله. فقال الله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[121].

فكان صلوات الله وسلامه عليه يخفض جناحه للمؤمنين، ويجلس معهم لا يميزه عنهم شيء، حتى يدخل عليه، وهو في أصحابه من لا يعرفه، فيقول: أيكم محمد[122]؟

---

[118] رواه مسلم في كتاب صفة النار، صحيح مسلم، ١٥١/٨.

[119] رواه البخاري ومسلم في كتاب اللباس والزينة، صحيح مسلم ١٤٨/٦. يتجلجل: يغوص وينزل.

[120] رواه مسلم في باب الإيمان ١٤٧/١.

[121] سورة الحجر: ٨٨.

[122] رواه البخاري، صحيح البخاري ١٩/١.

www.mtenback.com

وكان من تواضعه وسماحة نفسه صلوات الله عليه وسلامه أنه كان يشارك أهله في البيت مهنتهن وأعمالهن. فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمّا سئلت: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله[١٢٣]، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[١٢٤].

ولعل سائلاً يسأل يُسْأَل: متى يكون التكبر محمودًا؟

لقد سبق وبينا أن الاستكبار المذموم مقيّد بكونه بغير الحق. أما حينما يكون التكبر تكبرًا بالحق، فإنه يكون محمودًا، لأنه لا عدوان فيه على الحق، وإنما فيه إذلال للباطل الذي هو ذليل بطبعه.

ومن التكبر غير المذموم ما يكون لمعالجة المتكبرين وتصغير نفوسهم المستكبرة بغير حق، وتأديبهم حتى يعرفوا مواقعهم، فهو مظهر من المظاهر التي يكون الغرض منها التربية والتأديب بشرطٍ ألاّ يكون واقع حاله تكبرًا قلبيًا. ومثله بعض الأعمال التي لايقصد منها فاعلها التكبر على خلق الله، وإنما يكون فيها مقصد آخر كمظاهر الأناقة في الملبس والمشي والحركة والجمال في المظهر، فقد يكون الباعث عليها الكبر، وقد لا يكون.

والاستكبار شيء مختلف عن عزة نفس المؤمن وعزته بالله، فالأول – كما علمنا – سلوك قبيح، سواء أكان ذلك في داخل النفس أم في ظاهر العمل. أما الثاني فهو أمر محمود وسلوك حسن مأجور. وكم من موقف لا يحسن فيه التواضع ولا الخضوع، بل تجب فيه عزة النفس لا عن كبر ولا عن عجب، ولكن عن اعتزاز بالله وثقة به، وتوكل عليه، واستغناء بجوده وعطائه، وقناعة بما يولي من النعم.

---

[١٢٣] في مهنة أهله: يعني في خدمة أهله.

[١٢٤] رواه البخاري في كتاب الأذان باب ٤٤، صحيح البخاري، تقديم: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ،ط١، (١٣٧٦هـ)، ١/١١٣.

www.mtenback.com

إن فضيلة خلق عزة النفس وتعاليها عن مواطن الذّل من أجل الدنيا من فضائل أخلاق المؤمنين. فالمؤمن يكون متواضعًا لله متذللاً لإخوانه المؤمنين غير مستكبر على خلق الله، ولكنه مع ذلك يكون عزيز النفس بالله، لا يهين نفسه لتحصيل دنيا، أو استرضاء أرباب المال أو السلطان لجلب المنافع المادية عن طريقهم، ولكن اعتزازًا بالله وثقةً به، وتوكلاً عليه واستغناءً بما عنده عما عند عبيده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، وإيمانًا بحكمته في عطائه وفي ألوان امتحانه، وقناعة بما وهبه من نعم، وبما منحه من تكريم.

فالمؤمن المعتز بالله الذي له العزة جميعًا لا يخضع ولا يذل، ولا يحني رأسه إلا لله أو لمن أمر الله بطاعته مودة وبرًا، فيكون ذلك حينئذٍ من طاعة الله والخضوع لأوامره.

ومن ذلك الخضوع والتذلل للوالدين، وكذلك الخضوع والتذلل للمؤمنين، ولكن لا عن ذلة ومهانة وضعة وطلب للدنيا، وسعي وراء المنافع الدنيوية، بل عن مودة ورحمة، وفرق كبير بين الأمرين.

فالتذلل للوالدين رحمة لهما وبرًا بهما، قد أمر الله به في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١٢٥].

ففي قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ بيان شافٍ كافٍ في أنّ هذا التذلل للوالدين ليس تذلل مهانة ولا ضعة، ولكنه تذلل الرحمة بهما.

---

[١٢٥] سورة الإسراء: ٢٣-٢٤.

www.mtenback.com

وتذلل المؤمنين بعضهم لبعض هو أيضا تذلل مودة ورحمة، وهو التواضع ابتغاء مرضاة الله، فليس تذلل مهانة ولا ضعة ولا طلب للدنيا، إنه تذلل متبادل وسماحة. كريمة في الأخوة والتعامل الأدبي والمادي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١٢٦].

فقد جعل الله تبادل التذلل، أي التواضع بين المؤمنين من المحامد التي يحمدون بها عند الله، ولكنهم على الكافرين أعزة باعتزازهم بالله، يجاهدون بقوة في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، أي: لا يخافون من أي ضغط اجتماعي يأتي على صورة تكريم وتثريب، لأنهم ينصرون دين الله، ويستنصرون بالله، فهم أعزة في نفوسهم على الباطل رغم كل أسلحة الباطل المادية والمعنوية. فإذا تذللوا فإنما يتذللون ابتغاء مرضاة الله، لأن الله أمرهم به لإشاعة التواد والتراحم بين المؤمنين.

الحقد:

الحقد من الأدواء التي تصيب الصدور وتؤثر في سلامتها. قال أبو صخر الهذلي:

وَعدٌّ إلى قَومٍ تَجِيشُ صُدُورُهُمْ بِغِشّيَ، لا يُخْفُونَ حَمْلَ الْحَقَائِدِ

والحقد: هو العداوة الدفينة في الصدر. والعداوة هي الكراهية وتصاحبها رغبة الانتقام من الشخص المكروه إلى حدّ إفنائه وإلغائه من الوجود.

ومن مرادفات الحقد: الغلّ. جاء في لسان العرب[١٢٧]: الغِلّ، والغَليل: الغِش والعداوة والضِّغْن والحقد والحسَد. ويقال: غلّ صدره يغِلّ غِلاً: إذا كان ذا غش

---

[١٢٦] سورة المائدة: ٥٤.

[١٢٧] ابن منظور: لسان العرب، ١١/٤٩٩.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق تنباك www.mtenback.com

أوضغن أو حقد. ورجلٌ مُغِلّ: مضبّ على حقد وغلّ. وغلّ يغِل غلولا وأَغَلّ: خان. قال النَّمِرُ:

جَزَى اللهُ عَنَّا جَمْرَةَ ابْنَةَ نَوْفَلٍ   جَزَاءَ مُغِلٍّ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبِ

وغلّ في الشيء: يغِل غُلولاً وتغلل وتغلغل: دخل، يكون ذلك في الجواهر والأعراض. قال ذو الرمّة يصف الثور والكناس:

يُحَفِّرُهُ عَنْ كُلِّ سَاقٍ دَقِيْقَةٍ   وَعَنْ كُلِّ عِرْقٍ فِي الثَّرَى مُتَغَلْغِلِ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي   فَبَادِيهِ مَعَ الخَافِي يَسِيْرُ

والغِلالة: شعار يلبس تحت الثوب، لأنه يتغلغل فيها أي: يدخل. والغلّ: جامعة توضع في العنق أو اليد، والجمع أغلال: يقال: في رقبته غلّ من حديد، وقد غُلّ بالغلّ الجامعةُ يغل بها فهو مغلول[١٢٨].

قال الرازي: الغِل: الحقد، وهو الذي يغل بلطفه إلى صميم القلب. ومنه: الغلول وهو الوصول بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة. ويقال: انغل في الشيء إذا دخل فيه بلطافة- كالحبّ يدخل في صميم الفؤاد[١٢٩].

ومن مرادفات الحقد: الضغن، والشحناء. فهي جميعها كلمات تدور حول معنى واحد أو معانٍ متقاربة، ترجع عامة إلى معنى العداوة الدفينة، مع بعض فروق في الدلالات.

[١٢٨] ابن منظور لسان العرب(غلل).

[١٢٩] الفخر الرازي: التفسير الكبير، ١٤/٨٠.

www.mtenback.com

ومن دلائل الصّغار وخسّة الطبيعة أن يرسب الحقد أو الغل في أعماق النفس، فلا يخرج منها. وقد أحس الناس من قديم وحتى في جاهليتهم أن الحقد صفة الطبقات الدنيا من الخلق، وأن ذوي المروءات يتنزهون عنه. قال عنترة[١٣٠]:

لاَ يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ وَلاَ يَنَالُ العُلاَ مَنْ طَبْعُهُ الْغَضَبُ

وحين يحلل الحقد إلى عناصره نجده يتألف من العناصر التالية:

الكراهية الشديدة إلى حد التعصب العنيف، والرغبة في الانتقام وإنزال السوء بمن يكرهه الحاقد، و إمساك العنصرين السابقين في قرارة النفس، وتغذيتهما بالأوهام والتصورات، أو بمثيرات جديدة للكراهية والرغبة في الانتقام، وتركهما يربوان ويتفاعلان مع الزمن، فمن تفاعلهما واتحادهما وتناميهما وتغلغلهما داخل النفس يتكون ما نسميه الحقد أو الغل، أو نحو ذلك من أسماء.

ويرى الغزالي أن الحقد وليد الغضب، لأن الغضب إذا لزم كظمه، لعجزٍ عن التشفي في الحال، رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا، ومعنى الحقد - كما ذكر - أن يلزم المرء استثقال المغضوب عليه والبغضة له، والنفور منه، أن يدوم ويبقى[١٣١].

آثار الحقد في السلوك:

ومن داء الحقد الذي تصاب به النفوس ويتغلغل في الصدور، تتولد أنواع ذميمة من السلوك الذي لايحمد ولا يرضى.

فالحقد يثمر الحسد، وهو أن الحاقد يتمنى زوال النعمة عن عدوه. فيغتم بنعمة أصابها، ويسر بمصيبة نزلت به. والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن التشفي بنفسه، أحب أن يتشفى منه الزمان.

---

[١٣٠] عنترة بن شداد العبسي: ديوانه، تحقيق: بدر الدين حاضري، دار المشرق العربي، بيروت، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

[١٣١] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين: ١٦٨/٣.

www.mtenback.com

والحسد قد يفضي إلى التنازع والتقاتل، واستغراق العمر في السعي لإزالة النعمة وإلحاق الضرر وهتك الستر. والتفكير في النيل من الذي حقد عليه.

ومن مظاهر الحقد السلوكية جحود الحق. فجحود الحق مع العلم بأنه حق انحراف خلقي قبيح، والحقد من العوامل النفسية الدافعة لهذا الجحود. فلو رأينا إنسانا اتهم بالجنون رجلاً عاقلاً ذكيًا حصيفًا، فإننا بالبداهة نصف هذا المتهم الظالم بأنه محروم من خلق كريم؛ إذ جحد حقيقة واقعة ينصف بها الرجل الذكي العاقل الحصيف، وأثبت له خلافها مما ليس فيه.

ولو أقرضنا إنسانًا مبلغًا من المال فجحده وأنكره، فإننا نصفه بأنه آكلٌ لأموال الناس بالباطل، منحرف عن خلق كريم هو العفة. فالعفة عما ليس للإنسان من المال وتأدية ما عليه من حق لذويه من الأمانة، وجحود حقوق الناس من الخيانة التي يؤدي إليها الحقد. ويدخل في ذلك البيوع والديون، والمواريث والودائع والرهون والعواري والوصايا وأنواع الولايات الكبرى والصغرى وغير ذلك. فمن حمل في صدره حقدًا أو غلاً أو ضغينة لا يمكن أن يؤدي شيئًا من هذه الحقوق.

ومن أقبح مظاهر الحقد: شهادة الزور. والزور في اللغة: الميل، ويقال للقوس زوراء لميلها وللجيش أزور. والأزور: الذي ينظر بمؤخرة عينه. ويقال للبعير المائل السنام: هذا البعير أزور. وأرض زوراء: بعيدة، قال الأعشى[١٣٢]:

يَسْقِي دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ عُزُبًا زَوْرَاءَ، أَجْنَفَ عَنْهَا الْقَوْدُ والرَّسَلُ

فكأن شاهد الزور ازور، أي مال عن جادة الصواب. والتزوير: الكذب، والزُّور بالضم الكذب، والشرك بالله.

---

[١٣٢] الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ط١ (١٤٠٣هـ/١٩٩٢م)، ص٢٢١.

www.mtenback.com

وشهادة الزور كذب وباطل، وهما ميل عن الصدق وعن الحق. وهي خلق شديد القبح سيئ الأثر. فالأصل في الشهادة أن تكون سنداً لجانب الحق، ومعيناً للقضاء على إقامة العدل والحكم على الجناة الذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتهم فيظلمون أو يبغون أو يأكلون أموال الناس بالباطل. فإذا تحولت الشهادة عن وظيفتها، فكانت سنداً للباطل ومضللة للقضاء حتى يحكم بغير الحق استناداً على ما تضمنه من إثبات، فإنها تحمل حينئذ جريمتين في آن واحد:

الأولى عدم تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى لما يجب، والثانية قيامها بجريمة تهضم فيها الحقوق، ويظلم فيها البُرآء، ويستعان بها على الإثم والبغي والعدوان.

فهي في هذا كالقاضي الذي بيده سلطة القضاء ليحكم بالعدل، فيحكم بالجور والظلم والعدوان اتباعاً للهوى أو طمعاً بغرض من أغراض الحياة الدنيا.

وهي أيضاً كالمستأمن الذي يخون الأمانة، لأن الأمانة في الشهادة تكون بتحملها بحسب ما هي عليه في الواقع، وبأدائها دون تحريف أو تغيير أو زيادة أو نقصان. فالجريمة في شهادة الزور جريمتان، والظلم ظلمان.

ومن المظاهر السلوكية الذميمة للحقد قذف البُرآء بالفاحشة، وبما لم يرتكبوه من آثام. ففي ذلك ظلم للناس وعدوان على أعراضهم وإشاعة الفاحشة والإثم وتهوين لأمرها وتشجيع عليها، ذلك لأن من الناس من يكون في نفسه الرغبة بارتكاب الفاحشة والوقوع في الإثم فيحجبه ويكفه خوف الفضيحة من الناس، لكن إذا سمع أقوال الناس بعضهم ببعض، واتهام بعضهم بعضاً بمثل ذلك هان عليه الأمر، وتجرأ على الإثم، ورأى أنه والآخرين ممّن يحسّن الناس الظن بهم سواء. وما يدفعه إلى ذلك إلا الحقد الدفين والغلّ المترسب في أعماق صدره.

www.mtenback.com

إن خلق الإخاء والمحبّة يحتم على المرء أن يصون عرض إخوانه، لأن في العدوان على أعراضهم هتكا لعرضه، قال أبو الأسود الدؤلي[١٣٣]:

لاَ تَكْلِمَنْ عِرْضَ ابِنْ عَمِّك ظَالِمًا ... فَإِذَا فَعَلْتَ فَعِرضُكَ الْمَكْلُومُ

وشرٌّ من ذلك مَن رمى غيره بما فعل هو من إثم وخطيئة فجرمه مضاعف، لأنه مرتكب إثمًا وأراد أن يبرىء نفسه بإلقاء التهمة على غيره.

ومن نتائج الحقد وثمراته إفشاء الأسرار التي يستأمن على حفظها وعدم إفشائها. فمن حق من استأمنك على سّره أن تحفظه ولا تفشيه، لأن حديثه لك وسّره عندك أمانة، والأمانة يجب حفظها وعدم تعريضها للسلب والنهب كما أن إفشاء السر خيانة لمن استودعه.

وقد افتخر الشعراء بكتمان السر، وعدّوه من الفضائل، وجعلوا إفشاءه من الغدر قال أبو الطيب المتنبي[١٣٤]:

وَلِلسِّرِّ مِنيِّ مَوضِعٌ لاَ يَنَالُهُ ... نَدِيمٌ وَلايُفضِي إِلَيْهِ شَرَابُ

وقال أيضًا[١٣٥]:

وَسِركُمُ فِي الحَشَا مَيِّتٌ ... إِذَا أُنْشِرَ السِّرُّ لاَ يُنْشَرُ

وَإِفْشَاءُ مَا أَنَا مسْتَوْدَعٌ ... مِنَ الْغَدْرِ وَالْحُرُّ لاَ يَغْدِرُ

وقال بشار بن برد[١٣٦]:

---

[١٣٣] أبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمر بن شنيان: ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، (١٩٧٤م) ص١٦٦.

[١٣٤] المتنبي: ديوانه، بيروت، ٣١٧/١.

[١٣٥] المتنبي، ديوانه، ١٩٥/٢.

[١٣٦] بشار بن برد: ديوانه، شرحه ورتب قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٣م)، ص٥٣٦.

www.mtenback.com

وَمَا السِّرُّ فِي صَدْرِي كَمَيْتٍ بِقَبْرِهِ لأَني رَأَيْتُ الْمَيْتَ يَنْتَظِرُ النَّشْرا
وَلَكِنَّنِي أُخْفِيهِ حَتَّى كَأَنَّنِي بِمَا كَانَ مِنْهُ لَمْ أُحِطْ سَاعَةً خُبْرا

وقد يؤدي الحقد إلى إفشاء أسرار المجالس، فيكون في ذلك أضرار جسيمة، ولا سيما إذا كانت أسرارًا ترتبط بها مصالح المجتمع، وكان إفشاؤها يضر بالمصالح العامة للجميع، وعندئذٍ تكون خيانة عظمى لا خيانة فردية جزئية.

أما المجالس التي تدبر فيها المؤامرات ضد المجتمع، فهذه مجالس لا حرمة لها، بل التستر عليها خيانة للأمانة التى استؤمن عليها كل فرد من أفراد الجماعة، وهي أن يكون حافظًا راعيًا لمجتمعه أمينًا على مصالحه، وعينًا يقظة ساهرة ترقب العدو وتتصدى لمؤامرات المتآمرين على المجتمع وخيراته وقادته. ولا يكون شيء من ذلك من التجسس، ويحسن المناصحة قبل إبلاغ ولاة الأمر فإن كف المتآمرون على أمن البلاد واستقراره فيها، وإلا وجب اتخاذ أهون التدابير لقطع دابر التآمر، ولا يجوز الإبلاغ إلا إذا تأكد للمبلغ أن الفعل يؤدي إلى الإخلال بالأمن.

ومن المظاهر السلوكية لداء الحقد الاستهزاء والسخرية، وهي ظلم قبيح وعدوان على كرامة الإنسان وإيذاء لفاعله وتدنيس قلبه، ومن آثارها أنها تقطع الروابط القائمة على الأخوة والتودد والتراحم، وتبذر بذور العداوة والبغضاء، وتولد الرغبة بالانتقام وردّ الكيد بمثله، ما استطاع المظلوم إلى ذلك سبيلا.

ومن يحمل الحقد على الناس يجد في نفسة رغبة في تحطيم مكانة الآخرين بدوافع أخرى مريضة، كالتسلية والعبث بآلام الناس واستهانة بأقوالهم وأعمالهم، أو خلقتهم أو طبائعهم أو أسرهم، أو أنسابهم، أو قومياتهم وعناصرهم وأصولهم ولغاتهم وعاداتهم وأزيائهم وما أشبه ذلك.

وهذا الاستهزاء والاستصغار الذي تعبر عنه السخرية، لا مسوغ له، وإنما تكون السخرية لونًا من الأذى والاعتداء على من لاذنب له.

www.mtenback.com

فإذا كان يسخر من خلقة أخيه الجسدية أو الطبيعية، فإنه يسخر من أمر لا يملك الآخر تغييره، ولو أن الله عز وجلّ خلقه كذلك لما ملك من أمره شيئًا.

ثم إن المسخور منه لعيب في أصل تكوينه، ربما يكون في دخيلة نفسه أو في عمله أفضل من الساخر بكثير، فليست ميزة الإنسان وفضائله محصورة في جسده أو في بعض أعماله، بل فيه أمور أعظم من ذلك هي عقله وطهارة قلبه، وابتغاؤه الخير وجوده وإحسانه إلى غير ذلك من الأمور. وقد عبّر عن هذا المعنى أبو الفتح البستي بقوله[١٣٧]:

لاَ تَحْقِرِ الْمَرْءَ إِنْ رَأَيْتَ لَهُ ... دَمَامَةً أَوْ رَثَاثَةَ الْحُلَلِ

فَالنَّحْلُ شَيءٌ عَلَى ضُؤُولَتِهِ ... يَشْتَارُ مِنْهُ الْفَتَى جَنَى الْعَسَلِ

وإذا كان الساخر يسخر من أسرة أخيه أو نسبه، أو قوميته أو عنصره، أو لغته أو عادات قومه أو أزيائهم، فهو يتناول منه ما لاحول له فيه ولا إرادة ولا اختيار. ولا يكون شيء من ذلك إذا كان هذا الإنسان أو تلك القومية أو القبلية تمارس أعمالاً مخالفة للشرع الحنيف، وكان القول للموعظة والتعليم والتحذير. فالواعظ والمصلح والمرشد والمعلم والناصح له أن يضرب الأمثال بالسلوك الذميم، أو بالزي الذي ليس من أزياء المسلمين وبخاصة ما يتعلق بالنساء العاريات المائلات المميلات الجميلات، فالأمور بمقاصدها وأهدافها وكل عمل لابد أن تعرف ظروفه ومقاصده والغاية من فعله، إذ ليس كل نقد مذموم.

ومن يسخر من عمل أخيه أو إنتاجه، لما فيه من نقص أو عيب، فهو إما أن يسخر من ملكات فطرية لا يملك الآخر تعديلها، وإما أن يسخر من تقصيره وإهماله.

---

[١٣٧] البستي، أبو الفتح علي بن محمد الحسين: ديوانه، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٢٨٥

www.mtenback.com

أما السخرية من الملكات الفطرية فهي اعتراض على المقادير، وأما السخرية من الإهمال والتقصير في العمل ففيها إدعاء من نفسه بأنه لا يقع بمثل هذا التقصير أو الإهمال، مع أن الواقع قد يشهد بأن من يهزأ من النقائص الإرادية يقع منه ما هو أكثر مما يأخذه على غيره، وحتى الشيء الذي سخر منه ربما لم يقدر على مماثلته بنظير له.

ومن المظاهر السلوكية لداء الحقد التجسس على الناس، وتتبع عوراتهم وهتك أستارهم في خلوتهم، إمّا بالنظر إليهم وهم لا يشعرون، وإمّا باستراق السمع وهم لا يعلمون، وإما بالاطلاع على مكتوباتهم ووثائقهم وأسرارهم، وما يخفونه عن أعين الناس دون إذن منهم.

ومن حقّ الإنسان أن يخلو بنفسه دون أن يطلع عليه أحد، ومن حقه أن يستر قبائحه، وليس من حق الآخرين مراقبته في خلوته الخاصة، حتى يجاهر بذنبه أو يكشف صفة نفسه وما تخفي من مخالفاته.

والتجّسس مما يولد في المجتمع الأحقاد، ويورث العداوات والبغضاء، إذيشعر المتجسس عليه بأنه مشكوك في أمره غير موثوق به، وهو يكشف عورات الناس ويتسبب في إشاعة الفاحشة بينهم.

ومن نتائج الحقد الكلام في الغيبة وهو خلق قبيح. والغيبة أن يذكر الإنسان أخاه في غيبته بما يكره، وهو من القبائح الاجتماعية التي تؤدي إلى تقطيع أواصر الأخوة، وإفساد المودات وبذر العداوات، ذلك لأن الغيبة لا تبقي سترًا، بل يصل العلم بها لمن ذكر في غيبته بما يكره، فقّل في الناس من يكتم حديثًا، وعندئذٍ يغضب ممن ذكره، ويحقد عليه، فينتقم منه بمثل عمله أو بأقبح منه. قال صالح بن عبد القدوس[١٣٨]:

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ تَلَوُّنِهِ أَنَاصِحٌ أَمْ عَلَى غِشٍّ يُدَاجِينِي؟

---

[١٣٨] أحمد قبش، مجمع الحكم والأمثال: ٥٢٨

www.mtenback.com

تَغْتَـابُنِي عِنْـدَ أَقْـوَامٍ وَتَمْدَحُنِـي ... فِي آخَرِيـنَ وَكُـلٌّ عَنْـكَ يَـأْتِينِي
هَذَانِ أَمْرَانِ شَـتَّ الْبَـوْنُ بَيْنَهُمَـا ... فَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَنْ ذَمِّـي وَتَزْيِـنِي
أَرْضَى عَنِ الْمَرْءِ مَا أَصْفَـى مَوَدَّتَـهُ ... وَلَيْسَ شَيْءٌ مَعَ الْبَغْضَـاءِ يُرْضِيـنِي

وفي نشر معايب الناس تشجيع على الاستهانة بها، وارتكاب مثلها أو أقبح منها، ولا سيما إذا كان المتحدث عنه من المعروفين بالاستقامة أو ممن يشار إليهم بالبنان، أو من الدعاة إلى الخير، أو ممن يقتدى بهم في أعمالهم العامة أو الخاصة.

وهناك عدة دوافع تحرّضُ الإنسان على الغيبة، أهمها: كراهيته الباطنة لمن يغتابه، مع عدم رغبته في إظهارها ، لئلا تتحول إلى عداوة ظاهرة، فيخسر بهذه العداوة الظاهرة أمورًا يحبها، أو يتعرض لمواجهات لا يرى من مصلحته أن يتعرض لها، فينتهز فرصة غياب من يكره، فيغتابه أمام قوم يتصور أنه يأمن من جانبهم أنهم يبلغوه، شعورًا منه بأن ذلك يحطم مكانته في نفوسهم وبذلك ينفس عن حقده وكراهيته.

وخلائق أهل الغيبة الذين يتظاهرون أمام إخوانهم بالمحبة والاحترام والتقدير، ثم يطعنون فيهم في حال غيبتهم، تشبه خلائق المنافقين فهم مخادعون يظهرون وجهًا، ويخفون وجهًا آخر، وهم جبناء حريصون على تحصيل المنافع من كل الوجوه المتضادة.

ومن سلمت صدورهم من الحقد والغلّ نجدهم يترفعون عن الغيبة ويعيبون المغتاب ومن يجالسه.

قال أبو الطيب المتنبي[١٣٩]:

وَأُكْبِرُ نَفْسِـي عَـنْ جَـزَاءٍ بِغَيْبَـةٍ ... وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ لاَ لَهُ جُهْـدُ

وقال أبو العلاء المعري[١٤٠]:

---

[١٣٩] المتنبي، ديوانه: ١/١٩٢

[١٤٠] المعري: اللزوميات، ١/١٨٩.

www.mtenback.com

مَنْ جَالَسَ المُغْتَابَ فَهُوَ مُغْتَابْ لَسْتُ عَلَى كُلِّ جَنًى بِعَتَّابِ

وقال أيضًا:

لاَ تَقْطَعِ الْحِيْنَ مُغْتَابًا لِغَافِلَةٍ مِنَ النُّفُوسِ، وَلاَ تَجلِسْ إِلَى السَّمَرِ

ومن مظاهر الحقد السلوكية النميمة، وهي السّعي بين الناس بالإفساد، لتحريض الناس بعضهم على بعض، والإيقاع بينهم وشحن قلوبهم بالعداء والضغينة. ومنها السعي لدى ذي السلطان حتى يفسد قلبه على بعض أهل مودته، أو أحد رعيته، فيوقع به ضرًا أو أذى.

والنميمة قد تكون للإفساد بين صديقين، أو شريكين، أو زوجين، أو قريبين، أو حبيبين، أو أسرتين، أو قبيلتين، أو شعبين، أو دولتين، أو أي فريقين بينهم صلات أو مودات أو علاقات أو تعامل، أو نحو ذلك.

وكم جرت النميمة من شرور عظمى في المجتمع الإنساني، وكم فرقت بين الناس، وأفسدت العلاقات، وأثارت فتنًا كبرى.

والنمام إنسان منبوذ لا يثق به الناس ويحذّرون منه، ومن قبول نميمته لما فيها من أضرار للفرد والمجتمع. قال عبد الله الشيباني[١٤١]:

وَلاَ تَثِقَنَّ بِالنَّمَّامِ فِيْمَا حَبَاكَ مِنَ النَّصِيْحَةِ فِي الْخَلاءِ
وَأَيْقِنْ أَنّ مَا أَفْضَي إِلَيْهِ مِنَ الأَسْرَارِ مُنْكَشِفُ الْغِطَاءِ

وقال أبو الأسود الدؤلي محذرًا من النميمة والنمام[١٤٢]:

لاَ تُبْدِيَنَّ نَمِيْمَةً بُلِّغْتَهَا وَتَحفَظَنْ مِنَ الَّذِيْ أَنْبَاكَهَا

---

[١٠٩] المعري: اللزوميات، ١/٥٩٨.

[١٤١] أحمد قبش، مجمع الحكم والامثال، ص٢٥٨

[١٤٢] أبو الأسود الدؤلي: ديوانه، ص١٣٧.

www.mtenback.com

إِنَّ الَّـذِي أَهْـدَى إِلَيْـكَ نَمِيْمَـةً سَيَنُمُّ عَنْـكَ بِمِثْلِهَـا قَـدْ حَاكَهَـا

ومردّ ذلك كله إلى الحقد، لأن الحقد يعيش على الفضائل وجوانب الخير داخل النفوس. فهو يأكل كثيرًا من فضائلها فيربو على حسابها.

فمن الفضائل التي يعيش الحقد عليها فضيلة المحبة للآخرين التي تعد من الأسس العامة التي ترجع إليها مجموعة من الفروع الخلقية.

وذلك لأن انطلاق الإنسان عن دائرة أنانيته الضيقة إلى دائـرة أعـم وأشمـل، وخروجه من إطار محبته لنفسه فقط، إلى محبة الآخرين الذين هم في الدائـرة الأعـم الأشمل، إنما هو ارتقاء خلقي كريم. أما بقاء الإنسان في حدود دائرة أنانيته الضيقـة، وانحصاره في إطار محبته لنفسه فقط، دون أن يكون في قلبه محبة للآخرين أو شـعور بمشاعرهم، فهو دون شك انحطاط خلقي وانعزال عن الحياة الاجتماعية ورضى بـأضيق الحدود. وكثيرًا ما يرافق الأنانية الضيقة كراهية الآخريـن، وبغضهم والحقد عليهـم، لأنهم منافسون أو متنازعون أو مشاركون، وكل ذلك مما يؤذي أصحـاب النفـوس الصغيرة الحقيرة ذات الأنانية الضيقة، وهذا لا شك فيه قبح خلقي وخسـة ودنـاءة وانحطاط يربو على حساب فضيلة الآخرين.

إن الشعور بالمحبة نحو الآخرين أصل ترجع إليه مكارم خلقية كثيرة، كالتعـاون وإرادة الخير للناس ومشاركتهم الوجدانية في السراء والضراء، وأن يحب لهم مثل مـا يحب لنفسه، وأن يعاملهم بمثل الذي يحب أن يعاملوه به.

والحقد يعيش على حساب فضيلة الحلم التي تعد فرعًا لخلق الصبر، إذ الحلم هو الأناة والتثبت في الأمر، وما يلزم من ذلك من ضبط للنفس عن التعصـب، وكظـم الغيظ، والعفو عن السيئة.

www.mtenback.com

والحليم هو ذو الأناة الذي لا يستفزه الغضب إذا واجه ما يغضبه، ولا يتسرع بالعقوبة، بل يضبط نفسه، ويتريث ثم يتصرف وفق مقتضيات الحكمة، وكل ذلك لا يكون إلا بضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب والحقد.

أما الصفات الخلقية المضادة لصفة الحلم فهي:

العجلة الرعناء في تصريف الأمور وفي القيام بالأعمال، وفي الحكم على الأشياء، واستعجال الأشياء قبل أوانها، والسرعة في العقاب دون إمهال تقتضيه الحكمة، والطيش كلما ثارت في النفس ثائرة، وكلما تحرك في النفس دافع من الدوافع لتحقيق مطلب من المطالب. سرعة الغضب حينما يصطدم الإنسان بما يثير غضبه أو يخالف هواه.

وهناك ارتباط إيجابي قوي بين الحلم والعقل، وذلك لأن العقل السويّ هو الذي يعقل صاحبه عن الاندفاع وراء عواطفه وغرائزه أو وراء انفعالاته وشهواته، أو وراء طبائعه الضارية، أو وراء كل ميل به إلى الجنوح والانحراف، والعاقل من خالف هواه. قال أبو العتاهية[١٤٣]:

خَالِفْ هَوَاكَ إِذَا دَعَاكَ لِرِيْبَةٍ فَلَرُبَّ خَيْرٍ فِي مُخَالَفَةِ الهَوَى

ويكون الحقد على حساب فضيلة الرفق، والرفق ظاهرة خلقية وهو من ظواهر خلق الصبر، أو من ظواهر خلق الرحمة، أو من ظواهرهما معًا ويضاده العنف. والحسد من آثاره الحقد والعنف في معاملة الناس، وذلك يورث العداوات ورغبات الانتقام متى سنحت الفرصة.

أما الرفق في معاملة الناس، فهو مما يؤلف قلوبهم ويمتلك مودتهم ويطوعهم، ويعد من صفات الكمال.

---

[١٤٣] أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم: ديوانه، تحقيق: شكري فيصل، مكتبة دار الملاح، دمشق، (١٩٦٤م)، ص١٤.

www.mtenback.com

كما يكون الحقد على حساب فضيلة العدل، وهو إعطاء كل ذي حق حقه، إلا أن الصدر المصاب بداء الحقد والغل يحمل صاحبه على جحود الحق والتمرد على الاعتراف به.

ولما كان العدل أحد فروع الخلق المؤدية إلى حب الحق وإيثاره، وأثرًا تطبيقيًا من آثاره، كان لا بد أن نجد الذين يحبون الحق ويؤثرونه متصفين بخلق العدل، يحكمون به ويشهدون به. أما أصحاب الحقد فلا يفعلون شيئًا من ذلك، لأن دافع البغض يحرّض على مجانبة سبيل العدل.

ويكون الحقد على حساب فضيلة الأمانة التي تشمل عدم العدوان على الأعراض والحقوق المادية والأدبية، وترك الغش وتطفيف الكيل والميزان. وتبليغ الرسائل الكتابية أو اللفظية إلى أصحابها وتأدية النصح، فالخيانة لا يرضى بها عاقل. قال، الشاعر[١٤٤]:

أَخْلِقْ بِمَنْ رَضِيَ الْخِيَانَةَ شِيْمَةً ... أَلاَّ يُرَى إِلاَّ صَرِيْعَ حَوَادِثِ

مَازَالَتِ الأَرْزَاءُ تُلْحِقُ بُؤْسَهَا ... أَبَدًا بِغَادِرِ ذِمَّةٍ أَوْ نَاكِثِ

وقد جعلها بعض الناس أكثر قبحًا من السرقة. قال أبو العلاء المعريّ[١٤٥]:

مَا رَكِبَ الْخَائِنُ فِيْ فِعْلِهِ ... أَقْبَحَ مِمَّا رَكِبَ السَّارِقُ

هذي طباع الناس معروفةٌ ... فخالطوا العالم أو فارقوا

إنّ الحقد حمل ثقيل يتعب حامله، ويحمله الجاهل فيشقي به نفسه ويفسد به فكره، ويشغل به باله ويقض به مضجعه، ويكثر به همه وغمه. إنه حمل من أحمال

---

[١٤٤] أحمد قبش مجمع الحكم والامثال: ١٤٧

[١٤٥] أبو العلاء المعري، اللزوميات ١/٧٨ .

www.mtenback.com

الشوك الملتهب الحار المحشو بصخور محمية تنفث السموم التي تلهب الصدور. ويظل الجاهل الأحمق يحمل هذا الحمل الخبيث مهما حلّ أو ارتحل، حتى يشفي حقده ممن يحقد عليه. قال الشاعر:

الْحِقْدُ دَاءٌ دَفِينٌ لَيْسَ يَحْمِلُهُ ... إِلاَّ جَهُولٌ مِلِيءُ النَّفْسِ بِالْعِلَلِ

مَالِي وَلِلْحِقْدِ يُشْقِينِي وَأَحْمِلُهُ ... إِنِّي إِذَنْ لَغَبِيٌّ فَاقِدُ الْحِيَلِ

سَلاَمَةُ الصَّدْرِ أَهْنَا لِي وَأَرْحَبُ لِي ... وَمَرْكَبُ الْمَجْدِ أَحْلَى لِي مِنَ الزَّلَلِ

إِنْ نِمْتُ نِمْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ نَاعِمَهَا ... وَإِنْ صَحَوْتُ فَوَجْهُ السَّعْدِ يَبْسِمُ لِي

وَأَمْتَطِي لِمَرَاقِي الْمَجْدِ مَرْكَبَتِي ... لاَ حِقْدَ يُوْهِنُ مِنْ سَعْيِي وَمِنْ عَمَلِي

مُبَرَّأُ الْقَلْبِ مِنْ حِقْدٍ يبطِّئُنِي ... أَمَّا الْحَقُودُ فَفِي بُؤْسٍ وَفِي خَطَلِ

إنه ليس من صفات العقلاء أن يحملوا الحقد في صدورهم، وذلك لأن الأصل أن تكون صدورهم مملوءة بالمحبة وبإرادة الخير للآخرين، ومتى امتلأت القلوب بذلك لم يجد الغلّ مكانًا ينزل فيه، ولئن مرت الكراهية أو البغضاء فيها عابرة سبيل، فإنها لا تستطيع أن تجد شاغرًا تقيم فيه.

إنّ المحبة والغلّ لا يجتمعان في قلب واحد. وإن عاطفة الأخ نحو إخوانه تتدفق بالمحبة، فكيف يجد الغلّ إلى هذه العاطفة الكريمة سبيلاً ؟ إنهما أمران لا يجتمعان.

وقد ينال الأخ من أخيه أذى، وقد يكرهه لذلك أو يعاديه انتصارًا لنفسه، ولكن هذه العوارض لا تستمر في قلب العاقل، فهي لا تتحول إلى عداوة دفينة في القلب وحقد وغلّ متغلغل في الصدر، بل يجد المسامحة والعفو أهنأ له وأسعد، وإن ناله من أخيه ما يكره من ضرّ أو أذى.

www.mtenback.com

الطريق إلى علاج الحقد:

الحقد من الأمراض الخبيثة التي تهبط بصحة الإنسان النفسية والقلبية وتؤثر فيها ومتى تكاثرت على القلب أدناس الإثم والعدوان وإرادات السوء والشر مات فيه حسّ الخير فقسا وتصلبّ.

ومن أراد أن يتمتع بصدر سليم طاهر من الغل والأمراض سعى في علاج العلل التي يتعرض لها وأولها الحقد، لما في هذه العلة من ضرر على صاحبها وعلى مجتمعه الذي يعيش فيه. فحامل الحقد يشقى بنفسه، ويفسد فكره ويشغل به، ويلهب صدره ويحمل نفسه حملاً ثقيلاً. ولا يُشفى الحقد إلا بالانتقام والتشفي من الآخرين، وعندئذ يقع الضرر على المجتمع بالظلم والهجران والإيذاء المادي والمعنوي.

ومن أراد أن يعالج داء الحقد فعليه أن يتحلى أولاً بخلق الرحمة، وهو خلق ذو جذور عميقة في النفس محلها القلب أو الصدر. ومن آثارها في السلوك الظاهر لين الجانب للناس ونقيضها غلظ القلب وقساوته، ومن مظاهر هذا النقيض الخشونة في معاملة الناس والسلوك الفظ.

ومن المظاهر السلوكية لخلق الرحمة العفو والصفح عن السيئة، لأن العفو رحمة بالمسيء وتقدير لجانب ضعفه البشري، وفي العفو توثيق للروابط الاجتماعية التي تتعرض إلى الوهن والانفصام بسبب إساءة بعض الناس إلى بعض، وجناية بعضهم على بعض.

وبالعفو يريح الإنسان نفسه من هم العداوات، ويدفع عن نفسه الشرور. وقد عبر عن ذلك الإمام الشافعي بقوله[١٤٦]:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِيَ مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

[١٤٦] الإمام الشافعي: ديوانه، ص٣٣.

www.mtenback.com

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ البِرَّ لِلإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ ... كَأَنَّمَا قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ
النَّاسُ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمُ ... وَفِي اعْتِزَالِهِمُ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ

إن من يعفو عن المسيء يقدم له العفو وسيلة تربوية عظيمة لإصلاحه وتهذيبه، ويهيئه بذلك لتقبل نصيحته، وذلك لأن من ناله أذى من أحد إخوانه فصبر عليه وعفا عنه وسلك طريق الفضيلة المثلى وأخذ بخطة الرشد، فإنه لابد أن يسمو في عين من آذاه إذا كان هذا إنسانًا ذا ضمير حيّ، ولا بد أن يدرك أن من عفا عنه مع قدرته على أن ينتقم هو أكرم منه نفسًا وأفضل خلقًا وأعلى مكانة، فيتصاغر في نفسه، ومتى وصل الإنسان إلى هذه الحالة من الشعور كان أكثر استعدادًا لتقبل النصيحة، لاسيما من قبل الشخص الذي عفا عنه، وقلما يتمرد على نصيحته إذ يكون مدفوعًا بدافع تغطية النقص الذي ارتكبه، فيستكين للنصح الذي يقدمه له من رأى أنه أكمل منه خلقًا. ولما كان الأمر كذلك كانت الفرصة مواتية جدًا للأمر بالمعروف، فعلى من سلك طريق فضيلة العفو أن يغتنم الفرصة فيأمر صاحبه بالمعروف ما لم يكن صاحبه من الجاهلين أهل الغضب الذين يزيدهم مثل هذا الأمر تمردًا ووقاحةً وعنادًا.

قال معن بن أوس مبينًا آثار العفو في إصلاح الإخوان، واستلال الأحقاد من صدورهم، ومداواة صدق الحاقد بالحلم والصفح واللين[١٤٧]:

وَإِنْ أَدْعُهُ لِلنَّصْفِ يَأْبَ وَيَعْصِنِي ... وَيَدْعُ لِحُكْمٍ جَائِرٍ غَيْرُهُ الْحُكْمُ
فَمَا زِلْتُ فِي لِيْنِي لَهُ وَتَعَطُّفِي ... عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الأُمُّ

(١٤٧) معن بن أوس: ديوانه، جمعه: عمر محمد سليمان القطان، دار القلم للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٩٥-٩٩.

www.mtenback.com

وَخَفْضِي لَهُ مِنِّـي الْجَنَـاحَ تَأَلُّفًـا لِتُدْنَيَـه مِنّـي الْقَرَابَـةُ وَالرَّحْـمُ
وَصَبْرِي عَلَى أَشْـيَاءَ مِنْـهُ تُرِيبُنِـي وَكَظْمِي عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفعُ الْكَظْمُ
لأَسْتَلَّ مِنْهُ الضِّغْـنَ حَتَّـى اسْـتَلَلْتَهُ وَقَدْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الْحِلْـمُ
رَأَيْـتُ انْثِلامًـا بَيْنَنَـا فَرَقَعْتُـهُ بِرِفْقِي وإِحْيَائِي وَقَـد يُرْقَـعُ الثَّلْـمُ
فَدَاوَيْتُـهُ حَتَّـى ارْفَـأَنَّ نِفَـارُهُ فَعُدْنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُـنْ بَيْنَنَـا صَـرْمُ
وَأَطْفَأْتُ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِـي وَبَيْنَـهُ فَأَصْبَحَ بَعْدَ الْحَرْبِ وَ هْوَ لَنَا سِـلْمُ

أبيات تدعو للعفو وعدم الخروج عن طور الرصانة والثبات، وألا تتحرك النفوس للانتقام ممن أساء إليها أو آذاها، والحذر من أن تمتد على بصائر الناس غشاوة تحجب عنهم رؤية الفضيلة فيصبحوا لا يرون إلا إرضاء نفوسهم الراغبة بالانتقام. والعفو عن الأدنين أولى من غيرهم. قال البحتري:

تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنِ فَاسْـتَبقِ وُدَّهُـمُ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّـى تَحَلَّمَـا

روى صاحب الحماسة أن المقنع الكندي كان يعفو عن بني عمه ويفخر بذلك، فحاله معهم إن هم ضيعوا غيبه وذكروه بالسوء حفظ غيوبهم وإن تمنوا له النحس تمنى لهم السعد، والسبب في ذلك أنه لا يحمل عليهم الحقد القديم، حيث يقول[148]:

إِنَّ الَّذِي بَيْنِـي وَبَيْـنَ بَنِـي أَبِـي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّـي لَمُخْتَلِـفٌ جِـدًا
فَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُـمْ وَإِنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُم مَجْـدَا
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْـتُ غُيُوبَهُـمْ وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْـدا

(١٤٨) أبو تمام: ديوان الحماسة، ص٦٠٤.

www.mtenback.com

وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُــرُّ بِــي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِــمْ سَــعْدا
وَلاَ أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيْــمَ عَلَيْهِــمُ وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدا
لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَــابَعَ لِــي غِنــىً وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَــمْ أُكَلِّفْهُــمْ رِفْــدًا

ومن مظاهر خلق الرحمة الذي يكون علاجًا لداء الحقد: الإحسان ومقابلة أيــة إساءة بالتي هي أحسن حرصًا على روابط الأخوة أو على سلامة الجماعــة الواحــدة وأمنها.

ولما كان في فطرة كل إنسان الإحساس بكمال الفضــائل الخلقيــة وجمالهــا، ونقصان الرذائل الخلقية وقبحها، فلا بد أن يشعر بنقص نفسه وقبح عمله، ولا بــدّ أن يتصاغر في نفسه ولو بعد حين، إذا هو أساء لإنسان فقابله ذلــك الإنســان بــالعفو والإحسان مع قدرته أن يقابله بمثل إساءته أو بأشدّ منها.

فمن صبر على سوء أخلاق من أساء إليه مرة بعد مــرة، ولم يقــابل ســفاهته بالغضب والحقد، ولا إيذاءه بمثله ونصحه برفق وأبان له أنه قادر على أن ينتقم منــه إلاّ أنه آثر أن يحسن إليه فلا بد أن يحرك فيه جذر الحياء الكامن في أعماق نفسه فيســتحي من إساءاته، ومما بدر منه من خلق سيىء، ومعاملة مؤذية. ومع الاســتحياء تتصــاغر نفسه فيحاول أن يغطي نقصه باسترضاء صاحبه، فيتقرب إليه بأسباب المودة، ويكــف عن متابعة إساءته وتتهدم عداوته التي حركته للإساءة، حتى يكون وليًا حميمًا. قال أبو الفتح البستي[١٤٩]:

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْــتَعْبِدْ قُلُوْبَهُــمُ فَطَالَمَا اسْــتَعْبَدَ الإِنْسَــانَ إِحْسَــانُ

فمن قابل الشر بالخير استراح من الهمّ وقضى على الشر. وأحسن الشاعر حين قال:

[١٤٩] أبو الفتح البستي: ديوانه، ص١٨٧.

www.mtenback.com

فَكُنْ دَافِعًا لِلشَّرِّ بِـــالْخَيْرِ تَسْـــتَرِحْ مِنَ الْهَمِّ، إِنَّ الْخَيْرَ لِلشَّـــرِّ دَافِـــنُ

ولا يستطيع ضبط نفسه فيقابل الإساءة بالإحسان إلا من كان ذا إرادة قويـــة صبورًا، قادرًا على تحمل المكاره وكظم الغيظ وترك الانتقام، ذا حـــظ عظيـــم مـــن الأخلاق الفاضلة.

ومن وسائل علاج داء الحقد التهادي وتبادل الهبات، مهما كان قيمة الهدية أو الهبة قليلة وضئيلة، لأن من شأن هذه الظاهرة الكريمة توثيق روابط الصلة بـــين أفـــراد المجتمع، وتعميق جذور المودة والمحبة بينهم، وتوحيدهم في نظام الجســـد الواحد، الذي تتعاون أعضاؤه، وتتشارك أجزاء بنيانه في مسراته وأحزانه ولذاته والآمه.

ومن الخير في الهدية ألا يلاحظ فيها معنى العوض، وإلاّ كانت لونًا من ألـــوان المعاوضة، ومتى لوحظ فيها معنى العوض، فسد معناها وصار بعض النـــاس يحاســـب بعضهم بعضًا على مقدار ما يهدي كل منهم أخاه، وعلى مقدار ما يأتيه من قبله مـــن هدايا، فإذا أهدى شيئًا ذا قيمة عالية، وكوفيء عليها بهدية دونها في القيمـــة، وجـــه لأخيه انتقاده ولومه، ووصفه بالبخل وبقلة الوفاء.

وحين يصل التهادي بين الناس إلى هذا المستوى الشحيح فإنه يصبح معاوضـــة مادية بحتة، في ثوب مكرمة خلقية وهذا الثوب ثوب زور لا محالة.

فعطاء الهدية ينبغي أن يكون صلة مودة لا مظهر رياء ولا وسيلة تفاخر، ومتى دخل عنصر التفاخر في الهدايا صار أغنياء الناس يحقرون هدايا فقرائهم، وينظرون إليهم بازدراء واستكبار.

وعلى من قدمت له هدية أن يكافئ عليها بحسب استطاعته، لا أن يكون آخذًا لها فقط وهو قادر على أن يكافيء بهدايا مماثلة، وإلاّ دلّ على طمعه وشحّه.

www.mtenback.com

أما من لا يستطيع أن يكافىء على الهدية فعليه أن يثني على من أهداه ويدعو له بأن يجزيه الله خيرًا. فالهدايا تذهب الحقد والغيظ والعداوة والغلّ، ونحو ذلك مما يكون في صدور بعض الناس على بعض وتورث المحبة، قال الشاعر الكريزي[١٥٠]:

إِنَّ الْهَدِيَّـــــةَ حُلْـــــوَةٌ كَالسِّـحْرِ تَجْتَــذِبُ الْقُلُوبَـــا
تُدْنِـــي الْبَعِيـدَ مِـــنْ الْهَـــوَى حَتَّـــى تُصَـــيِّرَهُ رَقِيْبَـــا
وَتُعِيْـــدُ مُضْطَغِـــنَ العَـــدا وةِ بَعْـــدَ نفْرَتِـــهِ حَبِيْبَـــا
تَنْفِــي السَّــخِيْمَةَ مِــنْ ذَوِي الشَّــحْنَا وَتَمْتَحِــقُ الذُّنُوبَـــا

وقال دعبل الخزاعي[١٥١]:

هَدَايَـا النَّـاسِ بَعْضِهِـمُ لِبَعْــضٍ تُوَلِّــدُ فِــي قُلُوبِهِـمُ الْوِصَــالا
وَتَزْرَعُ فِــي الضَّمِـيْرِ هَـوًى وَوُدًّا وَتَكْسُـوهُم إِذَا حَضَـرُوا جَمَـالا
مَصَـايِدُ لِلْقُلُــوبِ بِغَـيْرِ لَغْــبٍ وَتَمْنَحُـكَ الْمَحَبَّـةَ وَالجَمَـالا

ومن أراد أن يعالج داء الحقد في صدره فعليه أن يكون سمح النفس هينًا لينًا، يتقبل ما يجري به القضاء والقدر من خير أو شرّ بالرضا والتسليم، ويحاول أن يجد لكل ما يجري به القضاء والقدر حكمة مرضية.

ويستطيع سمح النفس الهين اللين أن يظفر بأكبر قسط من السعادة وهناءة العيش، لأن تخلُّقه هذا يتكيف مع الأوضاع الطبيعية والاجتماعية بسرعة مهما كانت غير ملائمة لما يحب أو لما تهوى نفسه، ويستطيع أن يستقبل المقادير بالرضا والتسليم مهما كانت مكروهة للنفوس.

---

(١٥٠) أحمد قبش، مجمع الحكم والامثال: ٥٣٠

(١٥١) دعبل الخزاعي: ديوانه، صنعه: د. عبد الكريم الأشتر، المجمع العلمي، دمشق، (د.ت)، ص١٦٩.

www.mtenback.com

ويستطيع سمح النفس أن يغنم في حياته أكبر قدر من محّبة الناس له، وثقتهم به، لأنه يعاملهم بالسماحة والبشر ولين الجانب، والتغاضي عن السيئات والنقائص، فإذا دعاه الواجب إلى تقديم النصح كان في نصحه رفيقًا لينًا سمحًا هينا، يسر بالنصيحة، ولا يريد الفضيحة، يسدّ الثغرات، ولا ينشر الزلات والعثرات.

ويجلب سمح الناس الهين اللين لنفسه الخير الدنيوّي، فيميل الناس إلى التعامل معه، فيكثر عليه الخير لكثرة محبِّية والواثقين به. قال الشاعر صالح بن عبد القدوس[١٥٢]:

لَوْ سَارَ أَلْفُ مُدَجَّجٍ فِي حَاجَةٍ ... لَمْ يَقْضِهَا إلاّ الَّذِي يَتَرَفَّقُ

إنَّ التَّرَفُّقَ لِلْمُقِيْمِ مُوَافِقٌ ... وَإِذَا يُسَافِرُ فَالتَّرَفُّقُ أَوْفَقُ

ويقول أحمد شوقي[١٥٣]:

يَنَالُ بِاللِّيْنِ الْفَتَى بَعْضَ مَا ... يَعْجَزُ بِالشِّدَّةِ عَنْ غَصْبِهِ

وباللين والرفق يستل سمح الناس أحقاد النفس وعداوتهم. قال الشريف المرتضى[١٥٤]:

عَلِّلْ بِرِفْقِكَ مَنْ لَقِيْتَ مِنَ الْوَرَى ... إنَّ الْعَلِيْلَ شِفَاؤُهُ تعْلِيلُهُ

وَدَعِ الْقُلُوْبَ بِعِلَّهَا مَطْوِيَّةً ... مَا السِّرُّ إلاّ مَا إلَيْكَ وُصُوْلُهُ

وَانْصَحْ لِنَفْسِكَ إنْ نَصَحْتَ فَكُلُّ مَنْ ... تَلْقَاهُ فِي الدُّنْيَا يَقِلُّ قَبُولُهُ

وقال أبو الفتح البستي[١٥٥]:

وَرَافِقِ الرِّفْقَ فِي كُلِّ الأُمُورِ فَلَمْ ... يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ نَدْمَانُ

---

[١٥٢] أحمد قبش، مجمع الحكم والأمثال: ص١٩٤.

[١٥٣] أحمد شوقي: الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ٧٦/١.

[١٥٤] الشريف المرتضى: ديوانه تحقيق: رشيد الصّفار، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (١٩٥٨م) ٢٦/٣.

[١٥٥] أبو الفتح البستي: ديوانه، ١٨٨.

www.mtenback.com

وَلاَ يَغُــرَّكَ حَــظٌّ جَــرَّهُ خَــــرَقُ فَالخَرْقُ هَدمٌ وَرِفْــقُ الْمَــرْءِ بُنْيَــانُ

ومن أسباب علاج الحقد، كظم الغيظ وملك النفس عند الغضب. وكظم الغيظ وإخماد جذوة الغضب أمور تحتاج إلى قوة إرادة، كما تحتاج إلى حظ عظيم من الصبر.

ومن الملاحظ في المعاملات الاجتماعية بين الناس أن بعضهم قــد يســيء إلى إخوانه إساءات مختلفة، بلسانه ويده وغير ذلك من جوارحه في تصرفاته المالية وغيرها. والإساءة قد تمس النفس، أو تمس العرض والشرف، أو تمس المال والمتــاع، أو تمــس الأهل والعشيرة أو تمس أي حق من الحقوق. وتثير في الصدر جذوة الغضب فمن كظم غيظه وملك نفسه عند الغضب يستطيع أن يحول عدوه بما يسوء ويؤذي إلى نصــير مدافع وصديق حميم. والذين يكظمون غيظهم يستحقون محبة الناس، ولا يكظم غيظــه إلا صابر سليم الصدر. ولا يستطيع ضبط نفسه عند الاندفاع بعوامــل الغضــب إلّا الأشدّاء أقوياء الإرادة، فليس من السهل إذا غضب الإنسان أن يضبط نفسه ويكــف غضبه، وليس من السهل إذا اغتاظ الإنسان أن يضبط نفسه ويكظم غيظه، ويكف عن الانتقام ممن أغضبه أو أغاظه.

النفاق:

أمَّا النفاق فإنه أعمّ أمراض الصدر وأكثرها انتشارًا، وهو انحراف خلقي خطير في حياة الفرد وحياة الأمم. ومعناه عند أهل اللغة يرجع إلى أصلين: يدل أحدهمــا علــى انقطاع الشيء وذهابه. والآخر: على إخفاء الشيء وغموضه. يقال: نَفَقَتْ الدابة وسائر البهائم يَنْفُقُ نُفوقًا: مات. وأَنْفَقَ القوم: نَفَقَتَ سوقهم. وأنفق ماله ودرهمه وطعامــه نفقًا ونفاقًا، ونفِق، وكلاهما نقص وقلّ، وقيل في ذهب[١٥٦]. وأنفقوا: نفقت أموالهم. وأنفق الرجل إذا افتقر. ومنه قوله تعالى: ﴿إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾[١٥٧]. أي خشية الفناء والنفاد. وأنفق المال صرفه.

---

[١٥٦] ابن منظور لسان العرب: مادة (ن ف ق)

[١٥٧] سورة الإسراء: ١٠٠.

www.mtenback.com

والأصل الآخر: النفق: سرب في الأرض له مخلص إلى موضع آخر. قال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾[١٥٨]. والجمع أنفاق. واستعاره امرؤ القيس لجحرة الفأرة، فقال في وصفه لفرس[١٥٩]:

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ، كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلَّبِ

وتدل كلمة النفاق في الاصطلاح الإسلامي وعند دارسي علوم الأخلاق، على إظهار الإنسان خلاف ما يبطن في شتى نواحي الحياة. وبذلك يكون النفاق ضربًا من ضروب الكذب. والعلاقة واضحة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لما في المعنيين من الستر والخفاء.

وقيل: النفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو فعل المنافق الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا. يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا. وهو مأخوذ من النافقاء، وسمي منافقًا لأنه نافق كاليربوع، فهو يدخل في النافقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل من القاصعاء ويخرج من النافقاء فيقال هكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه[١٦٠].

وعلى هذا فالنفاق قسمان:

الأول نفاق عملي، وهو نفاق سلوك. وهذا من أكبر الرذائل، لأن قول صاحبه يخالف فعله، وسرّه يخالف علانيته. ويستعمل المنافق هذا السلوك لينجو من مخاوف كاذبة يتوقعها، أو ليشبع ما في صدره من الكبر الذي أدّى به إلى احتقار أخيه.

---

[١٥٨] سورة الأنعام: ٣٥.

[١٥٩] امرؤ القيس بن حجر بن الحارث: ديوانه، تحقيق: حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص٥٤.

[١٦٠] لسان العرب، لابن منظور، مادة نفق : ٣٥٩

www.mtenback.com

والثاني نفاق كفر، وهو نفاق اعتقادي، رسخ في القلب. فهذا نفاق خالص، صاحبه ميت القلب، مطفأ النور تمامًا.

فالنوع الأول مرض من أمراض الصدور يُصاب به من كان في قلبه شيء من الكذب في الحديث أو الخيانة في الأمانة، أو خلف في الوعد، أو غدر في المعاهدة، أو فجور في الخصومة ومفردة أو مجموعة، وباعتبار اشتمالها على القول والعقل والنية، ففساد القول بالكذب، وفساد العقل بالخيانة وفساد النية بالخلف.

وأبرز ما في النفاق أنه مظهر من مظاهر الكذب، ويظهر بالتدقيق أنه سلوك مركّب يرجع في أصله إلى عناصر خلقية متعددة. فإذا جمعنا الجبن والطمع بالمنافع الدنيوية و جحود الحق، وخلق الكذب، تولد عنها في سلوك الفرد ما نسميه النفاق. ثم يظهر نظير ذلك من سلوك الجماعة حينما تكون فيها هذه العناصر الخلقية المنحرفة عن السبيل القويم.

فلولا أن يكون المنافق جبانًا أو صاحب طمع شديد بالمنافع الدنيوية التي يترقبها، لما سلك مسلك المنافق،ولما كان له وجهان، وجه مع هؤلاء ووجه يخادع به أولئك. ولكانت عنده الجرأة الكافية على أن يعلن رأيه ويقف صراحة مع صاحب الحق، لكن جبنه الشديد يمنعه من ذلك. فهو يخشى أن يتظاهر بموقفه العدائي لهؤلاء، كما أن طمعه الشديد بمشاركة أولئك في المنافع التي يظفرون بها جعله يتظاهر بأنه منهم.

فالجبن والطمع مع خلق الكذب من العوامل الرئيسة التي يتولد عنها النفاق.

ولولا أن يكون المنافق جحودًا كنودًا، لردعه حبه للحق عن سلوك مسلك النفاق، فالذي يحب الحق لا يحلو له الجحود، ولا يطيب له الكنود، لاينافق وإن كان جبانًا شديد الطمع، لأنه سيجد فيما يؤمن به من حق مخاوف تردعه عن الباطل، ومطامع تجعله يلتزم سبيل الحق والخير، ولا يبقى في نفسه جبن ولا طمع ينزعان به إلى نفاق.

www.mtenback.com

ولولا أن يكون المنافق كذابًا – أي لولا أن يكون خلق الكذب أصيلاً في نفسه لما طاوعته نفسه أن يلتزم سبيل النفاق، لأن النفاق كذب وإثم في القول والعمل، وهذا لا يستطيعه ولا يحسنه إلا كذاب أشر، ممتهن للكذب، جريء عليه، وقح في التزامه، قادر على أن يبهت الناس في وجوههم، وذلك بأن يفتري عليهم الأقاويل، ويواجههم بها ويحلف على ذلك بالأيمان المغلظة دون أن يتلجلج أو يتلعثم أو يتلكأ. وعلى مقدار مهارة المنافق في الكذب يكون تعمقه في درك النفاق.

ثم إن لكل خلق أو مجموعة أخلاق ظواهر في السلوك تدل عليها مهما حاول صاحب الخلق إخفاء أمره. وتكون الظواهر السلوكية مناسبة لقوة دافع الخلق أو مجموعة الأخلاق.

وكما أن المعادن والعناصر والمركبات والثمرات لها ظواهر تكشف عن حقيقتها – وهذه الظواهر لا تختلف وتكون بمقدار نسبة العناصر أو المعادن أو المواد الجوهرية الداخلة فيها – فكذلك الأخلاق النفسية والدوافع الداخلية، لا بدّ أن يكون في الظواهر السلوكية ما يدّل عليها، باعتبار أن الإنسان في داخله وخارجه وحدة متشابكة، يؤثر بعضها على بعض، ويتأثر بعضها ببعض.

فالمنافقون يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فهم يكذبون في عمد وإصرار، والكذب ضد الصدق. ويعرّف الصدق بأنه قول الحق، وبأنه القول المطابق للواقع والحقيقة. ويعرّف بعضهم الصدق بأنه الكلام المطابق لاعتقاد المتكلم سواء طابق الواقع والحقيقة أو لم يطابق. إلاّ أنه يحبب التفريق بين الكلام والمتكلم: فإذا تكلم الإنسان بخبر، وكان كلامه مطابقًا لما يعتقد في الموضوع الذي تحدث فيه ومخالفًا للواقع، فإنه ينسجم مع نفسه، وهو في حديثه صادق غير كاذب، إلا أن كلامه بذاته كذب، لأنه مخالف للواقع والحقيقة. أما إذا تحدث الإنسان بخبر عن شيء ما وكان كلامه مخالفًا لما يعتقد في الموضوع الذي تحدّث به، ومطابقًا للواقع والحقيقة، فإنه غير

www.mtenback.com

منسجم مع نفسه، وهو في حديثه كاذب غير صادق، إلاّ أن كلامه هو بحّد ذاته صدق لأنه مطابق للواقع والحقيقة. وعلى هذا فقد نصف المتكلم بأنه كاذب لأنه تكلم على خلاف اعتقاده، مع أن كلامه قد يكون موصوفًا بالصدق لموافقته للواقع والحقيقة، فلكلٍ من الكلام والمتكلم وصف ملائم لواقع حاله[١٣١]. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[١٦١].

وكما يكون الصدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفعال، فقد يصدق الناس بتعبيراتهم الفعلية، وقد يكذبون، فإذا كانت تعبيراتهم الفعلية مطابقة في دلالاتها للحقيقة والواقع، فإنها تكون أفعالاً صادقة، وإذا كانت غير مطابقة فإنها تكون أفعالاً كاذبة.

فقد يفعل الإنسان فعلاً يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل، مثلما تكون المخادعة بالقول. وربما يكون الكذب في الأفعال أشدّ خطرًا وأقوى تاثيرًا من الكذب في الأقوال. فقد يبكي الإنسان معبرًا عن حزنه، وليس في قلبه شيء من ذلك الحزن، فهذا من قبيل الكذب الفعلي. أما الأعمال الصادقة فهي التي تكون دلالاتها التعبيرية مطابقة لما في نفس فاعلها وقلبه، وهي التي ليس بينها وبين ما يخفيه فاعلها في نفسه وقلبه منافاة ولا تعارض.

والإنسان في تكوينه مفطور على حب الحق، وإن خلق الكذب لا يكون أصيلاً في طبعه بحسب فطرته، وإنما يكتسبه بعد ذلك في حياته اكتسابًا بعوامل شتى، منها البيئة ومؤثرات الأهواء والشهوات، ومنها الاعتياد بتكرار الخبرات، ثم تتحول العادة

---

[١٣١] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن،: ج١، ص٣٧.

[١٦١] سورة البقرة: الآية ٨.

www.mtenback.com

فتكون خلقًا مكتسبًا. والدليل على ذلك أن الصغار بفطرتهم صادقون يحبون الصدق والحق.

وتبدو حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق، حينما نجد أن شطرًا كبيرًا من العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية يعتمد على شرف الكلمة، فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيرًا صادقًا عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف فيها إرادات الناس ونعرف فيها حقيقة أخبارهم.

ولولا الثقة بشرف الكلمة وصدقها لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس، ويكفي أن نتصور مجتمعًا قائمًا على الكذب لندرك مبلغ تفككه، وانعدام صور التعاون بين أفراده.

كيف يكون لمجتمع ما كيان متماسك إذا لم يتعاون أفراده بالصدق فيما بينهم؟ وكيف يكون لمثل هذا المجتمع رصيدٌ من ثقافة أو حضارة ؟!

كيف يوثق بنقل المعارف والعلوم إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع الإنساني؟!

كيف يوثق بنقل الأخبار والتواريخ إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع؟

كيف يوثق بالوعود والعهود ما لم يكن الصدق أحد أسس التعامل بين الناس؟

كيف يوثق بالدعاوى والشهادات ودلائل الإثبات القولية، ما لم يكن الصدق أحد أسس التعامل بين الناس.

ما مصير مجتمع قائم على الكذب؟ أليس مصيره الانحلال والتفكك ثم التخلف الحضاري الشنيع، ثم الخراب والدمار؟ أليس الجهل المخزي واحدًا من سمات هذا المجتمع المنحلّ؟!

www.mtenback.com

والناس فيما يتظاهرون به من قول أو عمل يقصدون مخادعة بعضهم بعضًا ليأمنوا جانبهم، ويظفروا بالمنافع الدنيوية. فهم يتصنعون الظواهر التي تخدع الأنظار حتى تظن فيهم خيرًا، ويعتنون بتحسين أجسامهم وتزيين أعمالهم، مما يكسبهم وجاهة ومكانة بين الناس، فلا تدل أجسامهم ولا مظاهرهم على أنهم منافقون. ولديهم القدرة على تنميق أقوالهم وتزيينها، فهم إذا تحدثوا استمالوا سامعيهم وأثروا فيهم. ولكنهم في الحقيقة لا يخدعون إلاّ أنفسهم[١٦٢].

ومن مظاهر المنافقين السلوكية أنهم يفسدون في الأرض بأقوالهم وأعمالهم. فهم يجعلون الباطل حقًا، والحق باطلاً دونما حياء. وهم دائمًا يحاولون تسويغ سلوكهم المنافق المفسد بأنه من الأعمال الإصلاحية، وربما كانت غلبة أهوائهم عليهم تجعلهم يتصورون أن ما يفعلونه إنما هو من قبيل الإصلاح ولا إفساد فيه[١٦٣].

ومن ذلك أنهم يزعمون لأنفسهم الذكاء ورجاحة العقل وحسن التصرف في الأمور للتخلص من المآزق الحرجة التي يواجهونها، ويرون الصادقين أناسًا سفهاء ناقصي العقل قليلي التفكير. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٦٤].

فلو كشفوا عن حقيقة الأمر لعلموا أنهم هم السفهاء ناقصو العقل قليلو التفكير، لأنهم بما يسلكون يدفعون بأنفسهم إلى مواقع الآلام المعجلة والشقاء الأبدي.

---

[١٦٢] انظر: سيد قطب في ظلال القرآن، ج ١، ص ٣٧.

[١٦٣] انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: عمدة التفسير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، ص ١٠٧.

[١٦٤] سورة البقرة: الآية ١٣.

www.mtenback.com

ومن مظاهرهم السلوكية أن لهم أكثر من وجه. فلهم وجه يظهرون بـه أمـام الناس، ولهم وجه آخر يتوارون به ولا يظهرونه إلاّ لإخوانهـم المنـافقين أمثـالهم. ويسوغون لإخوانهم هذا التلون بـأنهم يسـتهزئون بـأعدائهم، أي: يسـتغفلونهم ويخدعونهم ويغررون بهم ويترصدون غراتهم، للإيقاع بهم أو التخلي عنهم في أوقات الشدائد. قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٦٥].

ومن صفات المنافقين أنهم يندفعون وراء الأوهـام والخرافـات واعتقادهـا، والترويج لها كأنها حقائق ثابتة، في حين أنهم يبدون تشككهم بالحقـائق الواضحـة البينة، ويتوقفون دون التسليم، بها تذرعًا بأن التحقيق العلمي وأصالة الرأي يستوجبان التريث والأناة، وعدم التسليم قبل ثبوت الحقيقة ثبوتًا ملموسًا محسوسًا.

وهم في هذا الموقف المتناقض يرفضون الحق ويؤمنون بالبـاطل، ومـا أكـثر الخرافات التي تسيطر على عقولهم ونفوسهم.

والسبب في ذلك أن من لم يأخذ بالحقائق الواضحة التي تقوم عليهـا دلائـل العقل، فلا بدّ أن يترك في نفسه فراغًا كبيرًا للأوهام والخرافات التي تتسلل في ظلمـات النفس تسلل اللصوص، وفيها تتخذ زوايا تبني فيها بيوتها الواهية من خيوط وهميـة أو ضعيفة، فقد يتشاءمون أو يتطيرون من أشياء، وينسبون إليها حظـوظ السـعادة أو الشقاء.

ومن صفات المنافقين البخل والطمع. فإذا دُعوا إلى البذل الواجب قبضوا أيديهم وأمسكوا فلم ينفقوا. أما موقفهم من مواقف الطمع فموقف الطامع الشره الحسود، إن أُعطوا رضوا، وإن لم يعطوا سخطوا وتذمروا. والمنافقون لا يرضون حتـى يـأخذوا

[١٦٥] سورة البقرة: الآية: ١٤- ١٥

www.mtenback.com

النصيب الأوفى من المنافع الدنيوية ولو كانوا غير مستحقين. قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١٦٦].

ثم إنَّ من الظواهر السلوكية للمنافقين إخلاف الوعد ونقض العهد. فالنفاق يلجئ صاحبه إلى الأخذ بهذا السلوك المشين من ظواهر الانحراف الخلقي، فيعطي المنافق وعده أو يقدم عهده للاستفادة من الموقف الذي دعاه إلى ذلك، ثم إذا جاء وقت تنفيذ الوعد دعاه نفاقه إلى الإخلاف، وقام في نفسه بأن في استطاعته تقديم معاذيره المختلفة، وعمدته في ذلك اللجوء إلى خطة الكذب.

وقد ثبت في الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، إذا أؤتمن خان»[١٦٧].

ومن صفات المنافقين أنهم يسخرون من الذين يفعلون الخير ويحتقرون أعمالهم التي يقدمونها للناس. كما أنهم يلمزونهم على سبيل التجريح في غايتهم ومقاصدهم، فيتهمونهم بأنهم يراؤون الناس أو بأن غرضهم الشهرة أو الفخر أو ثناء الناس عليهم أو نحو ذلك. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٦٨].

ومن أسوأ صفات المنافقين خيانة الأمانة. ومن الطبيعي أن يكون المنافق خائنًا فيما يستأمن عليه، إذ إنه يزعم أنه واحد من القوم وأنه فرد منهمٌ وموالٍ لهم ومناصر

---

[١٦٦] سورة التوبة: الآية ٦٧. انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٣، ص١٦٦٦.

[١٦٧] رواه مسلم في كتاب المنافقين، ج ٨، ص١١٩.

[١٦٨] سورة التوبة: الآية ٧٩. انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٣، ص١٦٦٧.

www.mtenback.com

حاله، وهو في الحقيقة على خلاف ذلك. وحينما يتظاهر بانتسابه وولائه للقوم، فإنه يضع نفسه موضع المستأمن على أموالهم وأعراضهم وأسرارهم وجميع مقدراتهم. ومن الطبيعي أن يستأمن القوم من أصبح عضواً منهم فيطلع على أمورهم العامة، وكثير من أمورهم الخاصة، مع أنه في حقيقة أمره منافق، وهو عدو لمن نافقهم، يضمر لهم المكائد ويدبّر لهم الدسائس، ولذلك كان من الطبيعي أن يستغل استئمانهم له واستسلامهم واغترارهم بولائه، فيخونهم ويغدر بهم.

فالخيانة رذيلة من الرذائل التي ترافق النفاق وتصاحبه في أحوال كثيرة، ولذلك كانت من العلامات الدالة عليه.

وحينما تجتمع في الإنسان رذائل الكذب والإخلاف في الوعد والخيانة عند الاستئمان، فإن أبرز خصائص النفاق تكون مجتمعة فيه، وهذا ما تضمنه الحديث الشريف.

وعندما يهون على الإنسان اجتماع هذه الرذائل كلها في أخلاقه، فإن انغماسه في أرجاس النفاق بكل خصائصه يكون أمراً هيناً عليه، ولا يمنعه منه مانع أخلاقي، لأنه إنسان لا يملك من فضائل الأخلاق ما يصدّه عن النفاق.

ومن صفات المنافقين رذيلة الغدر، فمعروف من طبع المنافق الغدر، لأنه يعاهد كاذباً. ويتربص بمن ينافقهم تربص الصياد الذي ينتظر الغرّات، وينتهز الفرص فإذا كان النصر لمن نافقهم قال لهم: ألم أكن معكم؟ وإذا أصابهم مكروه قال لأعدائهم: ألم نحط بكم حماية لكم ونمنعكم من أعدائكم ؟ فهم يعملون على الانتفاع من كلا الفريقين، واللعب على الحبلين، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. فمتى سنحت للمنافق فرصة الغدر غدر، والغدر أخطر أمراض الصدور.

وهو ليس من شيمة أصحاب الصدور السليمة، لأنه يخل بنظام الحياة ويفسد على المرء تدبيره لمصلحته، وهو ضرب من الكذب والكذب رأس النفاق.

www.mtenback.com

ومن صفات المنافقين الفجور في الخصومة، وعدم الوقوف عند الحق. وتلك رذيلة كبيرة تجر إلى رذائل كثيرة ومفاسد عظيمة. فالفاجر في الخصومة ينكسر حق صاحبه ويستحلّ ماله وعرضه، ولا يترك بابًا من أبواب الإضرار به إلا اقتحمه، ولو أضاع في سبيل ذلك المال الكثير، بل لو شغله ذلك عن القيام بواجباته. وكثيرًا ما نسمع ما يكون بين أرباب القضايا، ومن الحزبين من بلد واحد، وما يحدث بين الفريقين من فجور في الخصومة. فالفجور في الخصومة داء وبيل يقطع الأواصر، وينشر الجرائم، ويفتك بالأخلاق، فلا جرم أن كان آية من آيات النفاق.

ومن صفات المنافقين أنهم في حالة مستمرة من الذعر والقلق والخوف من انكشاف خياناتهم ؛ فهم دائمًا مترددون حائرون مضطربون وهم يسيرون على طريق الخيانة والمخادعة، والخائن المخادع من شأنه أن يستولي عليه الذعر والقلق، فهو على طول طريق الخيانة خائف جبان رعديد حذر من كل شيء. إنه يخشى ظله إذا تبعه، ويخشى الطائر إذا نفر منه، وربما علق ثوبه بعود شجرة فظن أن الطلب قد أدركه. ويحسب كل صيحة يسمعها تنادي بالقبض عليه، لمحاسبته ومعاقبته على خيانته التي يسير في طريقها مخادعًا ظالمًا آثمًا[169]. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[170].

ومن الظواهر السلوكية الدالة على نفاق المنافقين أنهم جبناء خوّارون، فإذا دعوا إلى أمر فيه مخاطرة ويتطلب مقدارًا من الشجاعة والإقدام، جبنوا وتخاذلوا وتباطؤوا

---

[169] انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٦، ص٣٥٧٥.

[170] سورة المنافقون: ٤.

www.mtenback.com

وتأخروا عن المساهمة، ووقفوا يترقبون النتائج، فإذا كانت النتائج غير سارة تبجحوا بسداد رأيهم وحسن تقديرهم للأمور وأعلنوا فرحهم بنعمة التخلي عن أداء الواجب. وإذا كانت النتائج سارة لمن نافقوهم وقدموا في الأمر بشجاعة وثبات فنالوا المجد والنصر ورزق المغنم، أخذت الحسرة والندامة تأكل قلوبهم[١٧١].

ومن صفاتهم أنهم لابد أن تصدر عنهم تصرفات قولية أو فعلية تدل على نفاقهم، وأنهم كاذبون حاسدون خائنون خادعون مخادعون، إن لم يظهر ذلك في أقوالهم وتصرفاتهم، لم تنكره قلوبهم.

إن سلامة الصدر فضيلة يطْرد بها المرء همومه وتقر بها عينه، وبها يعيش مبرأً من وساوس الضغينة، وثورة الأحقاد، ورذائل الكبر والنفاق. إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها، وإذا رأى أذى يلحق أحدًا من أفراد مجتمعه رثى له، ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه.

وبذلك يحيا المرء ناصع الفؤاد، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى والحسد، لأن فساد الصدر بالضغائن وغيرها من أمراض الصدر داء عياء.

ويمكن اتباع مجموعة من الوسائل التي تؤدي إلى سلامة الصدر، منها:

التدريب العملي والممارسة التطبيقية: ولو بالتكلف أول الأمر وقسر النفس على غير ما تهوى من الأمور التي تكسب النفس الإنسانية خلقًا مكتسبًا، ولو لم يكن في الأصل الفطري أمرًا موجودًا.

وفي النفس الإنسانية استعداد فطري لاكتساب مقدار من كل فضيلة خلقية. وبمقدار مالدى الإنسان من هذا الاستعداد تكون مسؤوليته، ولو لم يكن لدى النفوس الإنسانية هذا الاستعداد لكان من العبث اتخاذ أية محاولة لتقويم أخلاق الناس. والقواعد التربوية المستمدة من الواقع التجريبي تثبت وجود هذا الاستعداد. واعتمادًا

---

[١٧١] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٢، ص٧٠٢.

www.mtenback.com

عليه يعمل المربون على تهذيب أخلاق الأجيال التي يشرفون على تربيتها، وقد ورد في الأثر: «العلم بالتعلّم والحلم بالتحلّم».

وقد يبدو التخلق بخلق ما عملاً شاقًا على النفس، ما لم يكن في أصل طبيعتها الفطرية، ولكنه بتدريب النفس وبالتمرس والمران يصبح سجية ثابتة، يندفع الإنسان إلى ممارسة ظواهره اندفاعًا ذاتيًا، دون أن يجد أية مشقة أو معارضة أو عقبة داخل نفسه، ولئن وجد شيئًا من ذلك فإن دافع الخلق المكتسب يظل هو الدافع الأغلب، بشرط أن يكون قد تحول إلى خلق مكتسب.

ومن وسائل اكتساب الفضائل التي تؤدي إلى سلامة الصدر، العيش في البيئات الصالحة، وذلك لأن طبيعة الإنسان الاكتساب من البيئة التي يتعايش معها، بالإضافة إلى ما لديه من أخلاق وعادات وتقاليد وأنواع سلوك عن طريق المحاكاة والتقليد، وبذلك تتم العادة النافعة.

وحينما ينخرط الفرد في سلك جماعة من الجماعات يجد أنه مدفوع بقوة ضاغطة لالتزام طريقتها، ثم بتعاطفه معها يستحسن الأشياء التي يراها مستحسنة لديها آخذة بها، ويستقبح الأشياء التي يراها مستقبحة لديها نافرة منها، وبذلك يكتسب الفرد دون أن يشعر أخلاق الجماعة التي ينتسب إليها وينخرط فيها.

كما أن الدافع الجماعي الموجود في الفرد الإنساني، يجعله إذا انخرط في سلك بيئة جماعية ضمن آلة متحركة تقسره قسرًا ذاتيًا على أن يستحسن ما تستحسنه، ويستقبح ما تستقبحه، وعلى أن يتقبل التدريبات العملية التي تمارسها الجماعة، وبذلك يكتسب الفرد طائفة كبيرة من الأخلاق التي تتخلق بها الجماعة.

فإذا وضعنا متكبرًا في بيئة متواضعين استطاع أن يكتسب منهم قسطًا حسنًا من خلق التواضع، وبذلك تقل نسبة الكبر لديه.

www.mtenback.com

وإذا وضعنا إنسانًا في بيئة أمناء، اكتسب منهم خلق الأمانة، أو في بيئة صادقين، اكتسب منهم خلق الصدق، أو في بيئة عفة وشرف اكتسب ذلك منها.

وهكذا فالإنسان الذي يجد نفسه في بيئة لهجتها الصدق، وخلقها الأمانة، وسلوكها الوفاء بالعهد والصدق في الوعد، والرحمة والتسامح وحب الخير للناس، يصعب عليه أن يخرج على هذا الأسلوب من السلوك في الحياة، وإن كانت نفسه نزاعة بالأصل إلى غير ذلك. ثم إذا طال عليه العهد وهو ملتزم بما غلبت عليه البيئة، صار يحس بنفرة شديدة من أضدادها.

أمّا القدوة الحسنة فهي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالاً حسيًا مشاهدًا ملموسًا يقتدى به، وقد يكون حاضرًا في الذهن بأخباره وسيره، وصورة مرتسمة في النفس بما أُثر عنه من سير وقصص وأنباء من أقوال وأفعال.

وسّر تأثير القدوة الحسنة في اكتساب الفضائل يرجع إلى عدة أسباب منها: أن القدوة الحسنة تحتل في المجتمعات الإنسانية مرتبة من المجد لا يحظى بها غيرها، وهذه المرتبة محفوظة بالتقدير الكبير من الناس، ومحفوظة بالثناء والإطراء والإعجاب، وكل هذا يولد في الفرد المحروم من أسباب هذا المجد حوافز قوية تحفزه إلى تقليد القدوة الحسنة، ومحاكاتها في أخلاقها وسلوكها. وعن طريق التقليد في الفضائل تكتسب الفضائل، لأن الممارسة التقليدية تتحول إلى عادة متمكنة، وهذه تتحول إلى خلق مكتسب.

إن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة لديه، فإن كان عنده في الأصل ميل إلى الخير، وتطّلع إلى مراتب الكمال، وليس في نفسه عقبات

www.mtenback.com

تصدّه عن ذلك، أخذ يحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به، بما تولد لديه من حوافز قوية تحفزه لأن يعمل مثله، حتى يحتل درجة الكمال التي رآه يحتلها.

فالقدوة الحسنة المتحلية بفضيلة سلامة الصدر تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضيلة من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

فمن الشاهد في مجال التربية أن كثيراً من الناس يرون بعض الأمور مستحيلة الوقوع، لأنهم لم يعالجوا قدراتهم للقيام بها، فإذا شاهدوا غيرهم يفعلها، أخذوا يطوعون قدراتهم حتى يكسبوها المهارات المطلوبة لذلك العمل، بالمعالجة والمحاكاة والتدريب.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ... الآية﴾	٨	٨٦
	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا... الآية﴾	١٣	٨٨
	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا... الآية﴾	١٥	٨٩
	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ... الآية﴾	٢٤٦	٥٤
النساء	﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى... الآية﴾	٣٢	٤١
آل عمران	﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ... الآية﴾	٢٩	١٤
	﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ... الآية﴾	١١٨	١٤
	﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا... الآية﴾	١٥٤	١٤
المائدة	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا... الآية﴾	٢٧	٣٦
	﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا... الآية﴾	٣١	٣٦
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ... الآية﴾	٥٤	٦٠
الأنعام	﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ... الآية﴾	٣٥	٨٣
	﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ ... الآية﴾	٥٢	٥٣
	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ... الآية﴾	١٢٥	١١
الأعراف	﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ...الآية﴾	٢	١٢
	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ... الآية﴾	٤٣	١٣
التوبة	﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ... الآية﴾	٦٧	٩٠
	﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي... الآية﴾	٧٩	٩٠
هود	﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ... الآية﴾	٢٧	٥٤
يوسف	﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ... الآية﴾	٥	٣٧
	﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا... الآية﴾	٨	٢٥، ٣٦
	﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ... الآية﴾	٩	٢٦

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا.. الآية﴾	١١-١٤	٣٨
	﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ.. الآية﴾	١٥	٣٨
	﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا... الآية﴾	١٦-١٨	٣٨
الحجر	﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ... الآية﴾	٨٨	٥٧
الإسراء	﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ... الآية﴾	٢٣-٢٤	٥٩
	﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ... الآية﴾	٤٩	١٣
	﴿إِذاً لامسكتم خشية الإنفاق... الآية﴾	١٠٠	٨٢
طه	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي.. الآية﴾	٢٥-٢٦	١١
الحج	﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ... الآية﴾	٤٦	١٠
غافر	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ... الآية﴾	٥٦	١٢
	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا... الآية﴾	٧٩-٨٠	١٤
الزخرف	﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِن... الآية﴾	٣١	٥٤
الحشر	﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا... الآية﴾	١٠	١٣
	﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ... الآية﴾	١٣	١٢
	﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى.... الآية﴾	١٤	١٠
المنافقون	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا... الآية﴾	٤	٩٢
الانشراح	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ... الآية﴾	١	١١

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«احتجت الجنة والنار...»	٥٧
«ألا أخبركم بأهل النار...»	٥٥
«اللهم ما أصبح بي من نعمة...»	٤٠
«إنّ أحبكم إليّ...»	٥٥
«آية المنافق ثلاث...»	٩٠
«بينما رجل يمشي في حلّة...»	٥٧
«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري...»	٥٥
«كل بيمينك...»	٥٦
«لا حسد إلا في اثنتين...»	١٨
«لا يدخل الجنة....»	٤٥
«لا يدخل النار...»	٥٦
«ما تواضع أحدٌ...»	٥٧

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ى ـ		
خالف هواكَ	الهوى	أبو العتاهية	١	٧٢
		ـ ء ـ		
ولا تثقنْ	الخلاءِ	عبدا الله الشيباني	٢	٧٠
		ـ ب ـ		
من جالسَ	بعتابِ	أبو العلاء المعريّ	١	٧٠
لو كانْ	الإعجابِ	علي بن الجهم	٢	٤٤
جزى اللهُ	كاذبِ	النّمر بن تولب	١	٦١
ينالُ	غَصْبِهِ	أحمد شوقي	١	٨١
خفاهُنّ	مجلّبِ	امرؤ القيس	١	٨٣
وللسرِّ	شرابُ	المتنبي	١	٦٥
لا يحملُ	الغَضَبُ	عنترة بن شدّاد	١	٦٢
إنّ الهدية	القلوبَا	الكريزي	٤	٨٠
ألا قُلْ	الأدبْ	–	٢	٣١
		ـ ت ـ		
لمّا عَفَوْتَ	العداواتِ	الإمام الشافعي	٤	٧٥
		ـ ث ـ		
أخلقْ بمن	حوادثِ	–	٢	٧٣
		ـ د ـ		
وعدّ	الحقائدِ	أبو صخر الهذليّ	١	٦٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وإذا أراد	حسودِ	أبو تمام	٣	٣١
إن يحسدوني	حسدُوا	–	٢	٣٣
والكِبْرُ	يحمدُ	أبو العلاء المعريّ	٢	٤٧
لا ماتَ	يكمدُ	–	٢	٣٢
وأُكْبِرُ	جُهْدُ	المتنبي	١	٦٩
إن العرانين	حُسّادا	سفيان بن معاوية	١	٣١
وإمّا هلكتُ	حُسّادَها	–	٢	٣٠
إن الذي بيني	جدّا	المقنّع الكنديّ	٦	٧٧
— ر —				
الوغدُ	مغارِ	أبو العلاء المعريّ	٤	٤٨
ولا تقطعِ	السّمرِ	أبو العلاء المعريّ	١	٧٠
وإني رأيتُ	كِبْرُ	أبو الطيب المتنبي	١	٤٥
وإني أتتني	سُخْرُ	أعشى باهلة	١	٥١
تغيّر قومي	يقدرُ	الراعي النميري	١	٥١
وسِّركمْ	يُنْشَرُ	أبو الطيب المتنبي	٢	٦٥
تغلغل حُبّ	يسيرُ	عبيد الله بن عبدالله بن عتبة	١	٦١
لا تُفْشِ	أسرارا	كعب بن زهير	٢	١٤
وما السِّرّ	النّشرا	بشار بن برد		٦٦
— ع —				
كيف ترجونَ	صَلَعْ	سويد بن أبي كاهل	٧	٢٤
— ق —				
ما ركبَ	السارقُ	أبو العلاء المعريّ	٢	٧٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لو سار	يترفقُ	صالح بن عبدالقدوس	٢	٨١
إذا المرء	أحمقُ	الإمام الشافعي	٢	١٥
		ـ ك ـ		
لا تَبدين	أنباكها	أبو الأسود الدؤلي	٢	٧٠
		ـ ل ـ		
يُحفّرُهُ	مُتَغَلْغِلِ	ذو الرّمة	١	٦١
الحقد داءٌ	بالعللِ	–	٦	٧٤
يسقي دياراً	الرّسْلُ	الأعشى	١	٦٣
اصبْر على	تأكله	عبدالله بن المعتز	١	٢٩
فلم أجدْ	تفضلا	أبو تمام	١	٤٢
عللْ برفقك	تعليلُهُ	الشريف المرتضى	٣	٨١
هدايا الناس	الوصالا	دعبل الخزاعي	٣	٨٠
لا تحقِر المرءَ	الخُلَلْ	أبو الفتح البستي	٢	٦٧
		ـ م ـ		
أعرضتُ	صرامُها	لبيد بن ربيعة	١	١٢
وإن أدعُهُ	الحكَمُ	معن بن أوس	٩	٧٦
حسدوا الفتى	خصومِ	–	٢	٣٢
لا تكلمنْ	المكلومُ	أبو الأسود الدؤلي	١	٦٥
وترى	مشتوم	–		١٨
تحلّمْ	تحلّما	البحتري	١	٧٧
وكُنّا إذا الجبار	فتقوّما	المتلمس الضبعي	١	٥١

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ن ـــ		
أحسنْ إلى الناسِ	إحسانُ	أبو الفتح البستي	١	٧٨
ورافقْ	ندمانُ	أبو الفتح البستي	٢	٨١
فكن دافعاً	دافنُ	–	١	٧٩
قُلْ للذي	يداجيني	صالح بن عبدالقدوس	٤	٦٨
		ـــ هـ ـــ		
النية مفسدةٌ	فانتبِه	–	١	٤٣
		ـــ ي ـــ		
تملأتُ من غيظٍ	تنشوي	زيد بن الحكم الثقفي	٣	٢٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أحمد شوقي:

الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

أحمد قبش:

مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دار الرشيد، دمشق، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن جندل بن شفيان:

ديوان أبي الأسود، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

الأصمعي، عبد الملك بن قريب:

الأضداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث:

ديوان امرئ القيس، حققه وشرحه: حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، د.ت.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

الألباني، محمد ناصر الدين:

صحيح سنن الترمذي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م.

www.mtenback.com

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، تقديم: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٣٧٦هـ.

البستاني، بطرس:

دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

البستي، أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين:

ديوانه، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

بشار بن برد:

ديوان بشار بن برد، شرحه ورتب قوافيه وقدّم له محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

- ديوان أبي تمام، شرحه وعلق عليه: شاهين عطية، مكتبة الطالب، بيروت ط١، ١٣٨٧هـ.

- ديوان الحماسة، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

الحكيم الترمذي، أبو عبدالله محمد بن علي:

بيان الفروق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، تحقيق: نقولا زهير، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني:

سنن أبي داود، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت.

www.mtenback.com

دعبل الخزاعي:

ديوان دعبل الخزاعي، صنعه عبد الكريم الأشتر، المجمع العملي، دمشق، د.ت.

الراعي النميريّ، أبو جندكل عبيد بن حصين بن معاوية:

ديوان الراعي النميريّ، دراسة وتحقيق: نوري القيسي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

الزبيديّ، السيد محمد مرتضى:

تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

سيد قطب:

في ظلال القرآن، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط١٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس:

ديوان الإمام الشافعي، راجعه وشرحه: خليل إبراهيم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

الشريف المرتضى:

ديوان الشريف المرتضى، تحقيق: رشيد الصفار، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:

- تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

www.mtenback.com

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم:

ديوان أبي العتاهية، تحقيق: شكري فيصل، مكتبة دار الملاح، دمشق، ١٩٦٤م.

علي بن الجهم:

ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم بك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

عنترة بن شداد العبسي:

ديوان عنترة، تحقيق: بدر الدين حاضري، دار المشرق العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد:

إحياء علوم الدين، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٧م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا:

معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

الفخر الرّازي، الإمام محمد بن عمر:

التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، د.ت.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ابن قتيبة، أبو عبدالله محمد بن مسلم:

عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٧٣م.

www.mtenback.com

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله:

الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ابن كثير القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر:

- تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- عمدة التفسير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني:

ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدّم له علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد:

سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار سحنون استانبول، ط٢، ١٩٩٢م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب:

أدب الدنيا والدين، دار الفكر، بيروت، د.ت.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين:

ديوان أبي الطيب المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

المحاسبيّ، أبو عبدالله الحارث بن أسد:

الرعاية لحقوق الله، تحقيق: عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

www.mtenback.com

ابن المعتز، عبدالله بن المعتز بن المتوكل:

ديوان ابن المعتز، شرحه وقدم له: ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب بيروت، ١٩٦٩م.

مسلم بن الحجاج القشيري:

صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية، د.ت.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان:

- ديوان سقط الزند، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- اللزوميات، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

معن بن أوس:

ديوان معن بن أوس، جمعه عمر محمد سليمان القطان، دار القلم للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

الميداني، عبد الرحمن حبنكة:

الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

وجدي، محمد فريد:

دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت.

اليماني، سلمان زيد سلمان:

القلب ووظائفه في الكتاب والسنّة، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com